هذه النسخة هدية لمن تقدم إليه بتوقيع
المؤلف لينظر مافيها ويدعو لنفسه ولأهل
الطرق جميعا وللمسلمين أحياء وأمواتا
بدعوة صالحة

المنهج القويم

في

بيان أن الصلاة الفتحية ليست من كلام الله القديم

تأليف

صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى
المالكى

من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

تنبيه : قد اشتمل هذا المنهج على نحو خمسين مبحثا يتخللها كثير من مباحث علم الأخلاق والتصوف الذى هو خلاصة علوم الدين وزاد أرواح أهل اليقين والله تعالى يقول فى كتابه العزيز « وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب »

مطبعة بخارى
بالقاهرة تليفون ٥٥٤٨٠

١- البحوث الإسلامية

هذه النسخة هدية لمن تقدم إليه بتوقيع المؤلف لينظر ما فيها ويدعو لنفسه ولأهل الطرق جميعا وللمسلمين أحياء وأمواتا بدعوة صالحة

المنهج القويم

في

بيان أن الصلاة الفتحية ليست من كلام الله القديم

تأليف

صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى المالكى

من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

تنبيه: قد اشتمل هذا المنهج على نحو خمسين مبحثا يتخللها كثير من مباحث علم الأخلاق والتصوف الذى هو خلاصة علوم الدين وزاد أرواح أهل اليقين والله تعالى يقول فى كتابه العزيز «وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب»

مطبعة حجازى بالقاهرة

تليفون رقم ٥٥٤٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفتاح العليم الذى بيده مفتاح التعليم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والناصر الحق بالحق والهادى إلى الصراط المستقيم وبعد فيقول راجى عفو ربه الرءوف محمد حسنين مخلوف العدوى المالكي انه فى أوائل سنة ١٣٤٣ قدم الينا حضرة الأستاذ السيد محمد الأعتابي التجانى المغربى نزيل مصر الآن وشيخ تكية القلشنى سؤالا يتضمن عدة نصوص تدور حول قول التجانية إن صلاة الفاتح من كلام الله القديم وأنها أفضل من سائر الأذكار والأوراد وان أسرارها الروحية وأجورها الأمرية تعدل سائر الصلوات سرا وأجرا وقد ورد اليه هذا السؤال كما قال من بعض إخوانه التجانية أتباع الأستاذ الأكبر الشيخ أحمد بن محمد التجانى صاحب الطريقة التجانية المشهورة بالمغرب الأقصى فقدمه الينا كما قدمه إلى غيرنا من علماء الأزهر الشريف وقد أجبنا عنه إذ ذاك بما فيه الكفاية ثم حدث مايدعو لبسط الجواب كما ستعرفه فعنينا به وبسطناه فى نحو خمسين مبحثا ولقبناه بالمنهج القويم فى بيان أن الصلاة الفتحية ليست من كلام الله القديم وستعلم بعون الله تعالى أن هذا البحث خطير يجب العناية به والاهتمام بشأنه حماية لجانب كلام الله القديم أن يدرج فيه مااشتهر أنه من كلام الخلق بلا دليل

وجدير بمن يريد الوقوف على جواب السؤال المذكور من طريق هذا المنهج أن يطالع نص السؤال بتأمل فى وضعه وتمهل فى فهمه ثم يطالع جميع مباحثه كذلك ليعلم أن كل مبحث منها له دخل فى تحقيق جوابه أو تقرير سؤاله وأن

يتخلى عن حميـة التعصب ويتحلى بحلية التمسك كما قال تعالى فى آيتى الاتباع « ياأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم » « وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا » وفى الحـديث (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ) وعلى هذا الضوء اللامع والنور الساطع يصح له أن يدخل فى مطالعة هذا المنهج القويم ويحكم بماله أوعليه حكم الفيصل العليم والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

(نص السؤال الوارد من التجانية عن حكم الصلاة الفتحية)

ساداتنا الأجلة بدورنا الأهلة علماء الملة ومصابيح الأمـة ساداتنا المـالكية والشافعية والحنفية والحنابلة بمصر المحمية وفر الله جمعكم وكثر عددكم والسلام عليكم ورحمة الله (أما بعد) فان الفقيه العالم العلامة السيد الحاج محمد بن عبدالواحد النظيفى التجانى طريقة المغربى أصلا المراكشى سكنا العالم العامل له عدة مؤلفات فى مختلف العلوم منها كتاب اسمه الطيب الفائح والورد السائح في صلاة الفاتح جمع فيه بعض صيغ من الصلوات على الرسول فقال فى بعض صلواته (ونصلى على حبيبك المصطفى الكريم بصلاة الفاتح التى هى من كلامك القديم) وقال فى شرح له على هذه الصلوات اسمه العطر النافح معلقا على قوله من كلامك القديم فهى بمنزلة القرآن لأنها من كلام الله القديم إذ ليست من تأليف نبى مرسل ولا ولى مقرب فينبغى لكل مصل بها أن يعتقد عند تلاوتها أنها من كلام الله القـديم ليثاب بقراءته ثواب كلام الله الذى هو أفضل من كل كلام اه ومستنده فى ذلك ماقاله العلامة سيدى محمد بن المشترى وكان من خاصة أصحاب الشيخ التجانى فى كتابه المسمى بالجامع ونصه الفضل المذكور فى الياقوتة الفريدة وهى صلاة الفاتح لما أغلق لا يحصل إلا بشرطين أولها الاذن من القدوة وثانيهما أن يعتقد الذاكر أن صلاة الفاتح من كلام الله كالأحاديث القدسية وليست من تأليف مؤلف اه وفى جواهر المعانى لسيدى على حرازم أحد خلفاء الشيخ التجانى قال الشيخ رضى الله

عنه أخبرني صلى الله عليه وسلم أن صلاة الفاتح لم تكن من تأليف القطب البكرى ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فنزلت عليه هذه الصلاة مكتوبة فى صحيفة من النور اه وفى المنظومة المسماة بالمنية للعلامة ابن بابا الشنقيطى مانصه

وفضلها يحصل مع شرطين   من ذاك إذن الشيخ دون مين

ثم اعتقاد أنها قد برزت   من حضرة الغيب لمن له سرت

وقال شارحها العلامة الولى الصالح السيد العربى بن السائح فى شرحه المسمى بالبغية على المنية فتحصل أن الفضل الخاص الذى تلقاه الشيخ رضى الله عنه من الحضرة المحمدية لايحصل إلا مع الاذن الصحيح من الشيخ رضى الله عنه ولو بواسطة أو وسائط كما أن الفضل الخاص لايحصل الا باعتقاد المصلى أنها ليست من تأليف القطب البكرى ولاغيره وأنها وردت من الحضرة المقدسة مكتوبة بقلم القدرة فى صحيفة نورية وماقاله العلامة سيدى عمر بن سعيد فى كتابه المسمى بالرماح وشروطها أى الفاتح لما أغلق عشرة وذكر منها أن يعتقد الذاكر أنها من كلام الله وجاء فى كتاب اسمه الافادة الأحمدية من كلام الشيخ التجانى نفسه من لم يعتقد أنها من كلام الله لايصح له الثواب المذكور فيها يعنى صلاة الفاتح ومن تمام كلام العالم العامل القطب السيد العربى بن السائح المذكور ثم ان بروز الأمر من الحضرة القدسية للولى المتمكن بالكتاب والسنة معروف وقد عدوه من أقسام كيفية الالهام للأولياء يعنى الالهام الذى يثلج له الصدر وهو معمول به عند المحققين إلى أن قال وفى اليواقيت والجواهر بعد ذكره نحوماتقدم * فان قلت ماعلامة كون تلك الكتابة التى فى الورقة النورانية من عند الله تعالى حتى يجوز العمل بها * فالجواب أن علامتها كما قال الشيخ محيي الدين فى الباب الخامس عشر بعد الثلاثمائة من فتوحاته المكية أن تلك الكتابة تقرأ من كل ناحية على

السواء لا تتغير بحيث كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها قال الشيخ محيي الدين وقد رأيت ورقة نزلت على فقير فى المطاف بعتقه من النار على هـذه الصفة فلما رآها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين اه فهل أيها الجهابذة الأعلام ومصابيح الظلام يصح أن يقال إن هذه الصلاة من كلام الله القديم أم لا بعد النصوص المتقدمة . فنطلب من فضلكم وإفضالكم عملا بمقتضى واجبكم الدينى أن تطالعوا كتب القوم وتبالغوا المجهود فى نقل كلام من تكلم فى الأحاديث القـدسية وما يماثلها كالورقات النازلة على ساداتنا الأولياء هل يقال فيها انها من كلام الله القـديم أم لا وتجيبوا على ذلك بجواب مستند على أدلة أصولية منقولة مع بيان رأى فضيلتكم الخاص ولكم الأجر والثواب اه

(ملاحظات على وضع السؤال المذكور قبل الاجابة عنه)

هكذا ورد الينا هذا السؤال غير موقع عليه من الأستاذ المذكور ولا أدرى إن كان من وضعه أو وضع غيره فقرأته وتأملت فى مفرداته وجمله ومافيه من النقول التى سردها السائل سردا وجعل بعضها مستندا لبعض مع أن من تأمل فيها يجدها متساوية فى الحاجة إلى ما يشهدلها وإلى بيان الغرض من ذكرها وبناء السؤال على سردها كما يجد مثارها ومثار السؤال عن مضمونها مارواه الشيـخ على حرازم عن شيخه الشيخ التجانى فى كتاب جواهر المعانى وستعلم مافيه ثم فى ذكر هذه النقول المستفيضة بين اتباع الشيخ التجانى وتقديمها على السؤال وطلب الاجابة على هذا الوجه المنوه عنه ونقل كلام السيد العربى وتعقيبه بما فى اليواقيت والجواهر وما قاله الشيخ الأكبر اشعار بأن السائل كسائر التجانية لاتردد عنده فى صحة هذه النقول ولا فى دلالتها على أن صلاة الفاتح من كلام الله القديم ولا فى أفضليتها على سائر الصـلوات سرا وأجرا بل هو جازم بهذين الحـكمين وما تعلق بهما من الشرطين المذكورين لاستنادهما فى زعمه إلى هذه النقول ولذا عبر عنها بالنصوص واعتبرها دليلا على الأحكام المذكورة مع ما فى قول الشيخ النظيفى ونصلى على

حبيبك الخ من الغموض فى عد مثل هذه الصيغة صلاة عليه صلى الله عليه وسلم وما في تعليق شرحه المذكور من الركاكة وضعف التأليف وما فى ظاهر قوله ليثاب بقراءته ثواب كلام الله القديم من المنافاة لما نقلوه عن الشيخ التجانى أن تلاوة صلاة الفاتح مرة واحدة تعدل تلاوة القرآن ستة أو سبعة آلاف مرة وأن هذا الفضل الخاص بها تلقاه الشيخ التجانى عن الحضرة المحمدية كما قال السيد العربى وغيره وإن أجابوا عنه وسيأتى مافيه ومع مافى نقل عبارة اليواقيت والجواهر من الاختذال المؤدى إلى فوات الغرض المطلوب وسيأتى نقلها برمتها وقوله عملا بمقتضى واجبكم الديني أن تطالعوا كتب القوم الخ يعنى كما طالعها حضرته ورآها شاهدة لما يدعيه من أن صلاة الفاتح من كلام الله القديم وسرد منها فى السؤال مايدل فى زعمه على أنه لا يصح مع هذه النصوص أن يقال انها ليست من كلام الله القديم وقوله وتجيبوا على ذلك الخ فيه أنه إذا اتضح أن هذه النصوص لادلالة لها على مطلبه فذلك كاف فى أنها ليست من كلام الله القديم بدون احتياج إلى دليل يقام عليه لأن السائل بهذا الاعتبار كمدع أقام دليلا والمجيب كسائل له المنع والنقض والمعارضة وحينئذ إما ان يثبت مدعاه أو يرجع إلى مااشتهر من نسبة صلاة الفاتح إلى القطب البكرى وأنها من كلامه رضى الله عنه سواء كان بالهام إلهى أو تأليف بشرى وليست من كلام الله القديم * وبالجملة فمثل هذا السؤال المسوق على هذا الوجه ليس من الاسئلة التى يقصد بها بيان الحق لاتباعه بل هو سؤال استظهار يطلب السائل به تعضيد رأيه انتصاراً لمعتقده وترويجاً لنزعته فاذا صح أن يجاب عنه فانما هو لافادة طالب الحق سواء أكان له أو عليه وقد أجبنا عنه إذ ذاك بجواب مطول كرسالة فيه مقنع لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد بدون تعرض للتعريف بالشيخ التجانى وطريقته وفى أوائل سنة ١٣٥٣ ورد الينا من دار الطباعة التجانية بمصر خطاب من الشيخ محمد الحافظ التجانى أحد شيوخ التجانية الآن يطلب هذا الجواب فوعدناه بإرساله بعد إعادة النظر فيه وإذ كنت مشتغلا بنظره إجابة لطلبه

أيت فى مجلة الفتح لصاحبها الأستاذ محب الدين افندى الخطيب عدة مقالات مزودة عدة فتاوى لعلماء دمشق وغيرهم مفادها أن الطريقة التجانية خارجة عن حدود الشريعة الاسلامية كتابا وسنة وإجماعا وقياسا وأن الرأى العام الاسلامى لم يجمع على مسألة من المسائل كما أجمع على البراءة من هذه الطريقة إلى آخر ماذكروه فى هذا الباب ونحن وإن كنا لا نتعرض لهذه الفتاوى باثبات أو نفى ولا لما نشرته جريدة الفتح من المقالات ضد هذه الطريقة ولكن نقول إذا صح ما يعزى إلى الطريقة التجانية الحاضرة أو غيرها من سائر الطرق الموجودة بالديار المصرية وغيرها وكان مخالفا للشريعة الاسلامية فما احتمل منه التأويل يصرف عن ظاهره إذا صح حال قائله وصدر منه حال غيبته كما سيأتى في شطح الحلاج وشيعته مع اعتقادنا أن لأهل الطريق ميزة عن غيرهم وأنهم فى أعمالهم وأقوالهم وعقائدهم بمعزل بعيد عن الظواهر المخالفة للشرع أو المخلة بآدابه كيف وهم من صفوة الأمة الاسلامية وخيارهم وورثة الأنبياء فى أقوالهم وأفعالهم وطريقتهم هى الطريقة المثلى وكل من ينتسب إلى طريقة القوم ويأتى بشىء مخالف للكتاب والسنة فليس من أهل الطريق فى شىء فلهذا وذاك رأيت أن أحرر الجواب المذكور عن سؤال الصلاة الفتحية أهى من كلام الله القديم أولا لأن السؤال بصددها وأقدم عليه نبذة مما هو مأثور عن الشيخ التجانى وأصحابه كما هو مذكور فى كتبهم وأضم إلى ذلك من كلام القوم ما يستدعيه تحرير البيان فى هذا الموضوع ليطلع عليه الناظر فى هذا المنهج بدون تعرض للاجابة عن تفاصيل هذه النبذة كلمة كلمة وأكل للناظر المنصف الحكم فيها بما يراه والله الهادى إلى سواء الصراط

(التعريف بالشيخ التجانى وطريقته)

الشيخ التجانى كما ذكره تلميذه الأكبر الشيخ على حرازم المغربى الفاسى فى كتاب جواهر المعانى وبلوغ الأمانى فى فيض أبى العباس التجانى وخليفته الشيخ عمر بن سعيد الطورى فى كتابه رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم هو أبو العباس أحمد بن محمد

الشريف الحسيني المغربي التجاني صاحب الطريقة التجانية المنتشرة في أنحاء المغرب الأقصى بين القبائل العربية والبرابرة ولد رحمه الله سنة ١١٥٠ بقرية عين ماضي باقليم الجزائر وحفظ بها القرآن الكريم وتلقى بعض العلوم ثم ارتحل في سنة ١١٧١ إلى فاس وفيها سمع الحديث ثم توجه إلى تلمسان وأقام بها للتلاوة والتدريس والعبادة والزهد وفي سنة ١١٨٦ عزم على الحج مع رفاق عديدين فمر في سفره بالجزائر وتونس ومصر وبعد الحج والزيارة قفل الى المغرب فنزل في قرية أبي سمعون بصحراء فاس سنة ١١٩٦ ثم رحل الى فاس سنة ١٢٠٣ وأقام بها والتقى بكثير من الأولياء وتلقى بها الطريقة الجيلانيـة ثم الناصرية ثم طريقة أبي العباس السجلماسي ثم طريقة أبي العباس الطواشي ثم الطريقـة الخلوتية عن محمد بن عبد الله الأزهري واجتمع في مكة سنة ١٠٨٧ بأبي العباس الهندي وأخـذ في المدينة المنورة الطريقة السمانية ثم نبذ هذه الطرق واختص بطريقته المعروفة بأمر من النبي ﷺ ولقنه الأوراد وأذن له في الارشاد يقظة لامناما بقرية أبي سمعون سنة ١١٩٦ . وقال إنا أخذنا عن مشايخ عـدة فلم يقض الله منهم بتحصيل محصول وإن سندنا واستنادنا في هذا الطريق عن سيد الوجود ﷺ وقد قضى الله بفتحنا ووصولنا على يديه ليس لغيره من المشايخ فينا تصرف وتسمى طريقته الأحمـدية والمحمدية والابراهيمية الحنفية والتجانية ولها عندهم شرائط معدودة منها خلو الطالب من أوراد المشايخ اللازمة لطرقهم وانسلاخه عنها بحيث لا يرجع اليها أبدا ومنها عدم زيارة أحـد من الأولياء الأموات والأحياء ومنها دوام محبة الشيخ وخلفائه بلا انقطاع إلى الممات ومنها أن لا يصدر عنه سب ولا انتقاص ولا عداوة في جانب الشيخ ومنها احترام كل من انتسب إلى الشيخ ولا سيما خواصه الأكابر ومنها عدم الكلام إلا لضرورة ومنها استحضار صورة الشيخ بين يديه من أول الذكر الى آخره والاستمداد منه إن قدر على ذلك وأعظم من هذا استحضاره ﷺ ومن أورادهم اللازمة صـلاة الفاتح المنسوبة

للسيد محمد البكرى الصديقى ونصها اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والناصر الحق بالحق والهادى الى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم وقد ذكروا لها من الخصائص مالا يقدر قدره ولا ينال دركه حتى قالوا نقلا عن شيخهم التجانى أن تلاوتها تعدل تلاوة القرآن بسبعة آلاف مرة وفى رواية بستة آلاف مرة وأن الشيخ البكرى لم يذكر لها هذا الفضل وإنما ظهر فضلها على يد شيخهم باملاء من النبى ﷺ وأن الذاكر بها لابد أن يعتقد أنها من كلام الله تعالى كما نبه عليه أيضا فى كتاب الافادة الأحمدية للشيخ السفيانى صاحب الشيخ احمد التجانى

(فضائل الشيخ التجانى وخصائصه)

وأما فضائله وخصائصه المأثورة عنه فحسبنا أن نورد منها طرفا بنصه وفصه. كما هو مذكور فى الكتب المنوه عنها فى السؤال فمنها قوله أن رسول الله ﷺ أخبرنى يقظة بقوله أنت من الآمنين وكل من أحبك من الآمنين أنت حبيبى وكل من أحبك حبيبى وفقراء ذكرك فقرائى وتلاميذك تلاميذى وأصحابك أصحابى وكل من أخذ وردك فهو محرر من النار وأن من يؤذيهم يؤذيه عليه الصلاة والسلام ويطرده الله عن قربه ويسلبه مامنحه من لطفه وقوله الفيوض التى تفيض من ذات سيد الوجود ﷺ تتلقاها ذوات الأنبياء عليهم السلام وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور وقوله لايشرب ولى ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور وقوله إذا جمع الله خلقه فى الموقف ينادى مناد بأعلى صوته يسمعه كل من فى الموقف يا أهل الحشر هذا إمامكم الذى كان مددكم منه. وقوله روحه ﷺ وروحى هكذا وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وقوله قدماى هاتان على رقبة كل ولى لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ فى الصور وقوله روحه ﷺ تمد الرسل والأنبياء وروحى تمد الأقطاب والعارفين.

والأولياء من الأزل الى الأبد وقوله إن أعمار الناس كلها ذهبت مجانا الا أعمار أصحاب الفاتح لما أغلق فقد فازوا بالربح دنيا وآخرى ولا يشغل بها عمره إلا سعيد وقوله أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم انى أنا القطب المكتوم منه إلى مشافهة يقظة لامناما فقيل للشيخ وما معنى المكتوم فقال هو الذى كتمه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبيين إلا سيد الوجود فانه علم به وبحاله وهو الذى حاز كل ما عند الأولياء من الكمالات وقوله أنا سيد الأولياء كما كان النبى ﷺ سيد الأنبياء وقوله نسبة الأقطاب منى كنسبة العامة إلى الأقطاب وقوله لو اطلع الاكابر من الأقطاب على ما أعد الله لأهل هذه الطريقة لبكوا وقالوا يا ربنا ما أعطيتنا شيئاً (وقوله) كل الطرائق تدخل عليها طريقتنا فتبطلها وطابعنا يركب على كل طابع ولايحمل طابعنا غيره ومن ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول فى طريقتنا هذه المحمدية فلا يخاف من شىء يصيبه لامن الله ولا من رسوله ولامن شيخه حيا أو ميتا ومن دخل فى زمرتنا وتأخر عنها ودخل غيرها تحل به المصائب دنيا وأخرى ولا يفلح أبداً وقوله إن الله تعالى أعطانى الشفاعة فى أهل عصرى من حين ولادتى إلى حين مماتى وزاد تلميذه فى كتابه جواهر المعانى وزيادة عشرين سنة بعد وفاته وقوله جميع الأولياء يدخلون فى زمرتنا ويأخذون أورادنا ويتمسكون بطريقتنا من أول الوجود إلى يوم القيامة حتى الامام المهدى إذا قام آخر الزمان يأخذ عنا ويدخل زمرتنا بعد مماتنا وانتقالنا إلى دار البقاء (وقوله) ليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولاعقاب ولو عملوا من الذنوب ماعملوا وبلغوا من المعاصى مابلغوا إلا أنا وحدى ووراء ذلك مما ذكرلى فيهم وضمنه عليه الصلاة والسلام أمر لايحل لى ذكره ولايرى ولا يعرف إلا فى الآخرة وأنه ضمن لنا أن من يسبنا ودام على ذلك ولم يتب لايموت إلا كافرا ولا يصل أحد إلى بسوء (وقوله) إنه عليه الصلاة والسلام قال له بعزة ربى يوم الاثنين والجمعة لم

أفارقك فيهما من الفجر إلى الغروب ومعى سبعة أملاك وكل من رآك فى اليومين المذكورين تكتب الملائكة اسمه فى ورقة من ذهب ويكتبون من أهل الجنة وقوله لو بحت بما علمنيه الله تعالى لأجمع أهل العرفان على قتلى وحسبنا هـذا من مقالاته المنقولة عن تلاميذه المعاصرين له والذين جاؤا من بعده فجهدوا فى شرحها والتماس حكم وأسرار لها وفى تأييدها والنضال دونها والاحتجاج بها نفسها على من ينكرها ويفندها وهذا شىء غريب لا يحسنه إلا أهله ولا حول ولا قوة إلا بالله

(مطالب الشيخ التجانى من النبى وإجابته صلى الله عليه وسلم عنها)

وقد علم الشيخ التجانى ماله من الدالة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والاثرة عنده فطلب منه عدة مطالب وكتب بها صكا وسلمه إليه يقظة لا مناما فلما نظره عليه الصلاة والسلام أجابه بالقبول ونصه أسأل من فضل سيدنا رسول الله ﷺ أن يضمن لى دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب فى أول الزمرة الأولى أنا وكل أب وأم ولدونى من أبوى إلى أول أب وأم لى فى الاسلام من جهة أبى ومن جهة أمى وجميع ماولد آبائى وأمهاتى من أبوى إلى الجد الحادى عشر والجدة الحادية عشر من جهة أبى ومن جهة أمى من كل ماتناسل منهم من وقتهم إلى أن يموت عيسى بن مريم من جميع الذكور والاناث والصغار والكبار وكل من أحسن إلى باحسان حسى أو معنوى من مثقال ذرة فأكثر وكل من نفعنى بنفع حسى أو معنوى من مثقال ذرة فأكثر من خروجى من بطن أمى إلى موتى وكل من له على مشيخة فى علم أو قرآن أو ذكر أو سر من كل من لم يعادينى من جميع هؤلاء وأما من عادانى أو أبغضنى فلا وكل من أحبنى ولم يعادينى وكل من والانى واتخذنى شيخا أو أخذ عنى ذكرا وكل من زارنى وكل من خدمنى أو قضى لى حاجة أو دعا لى كل هؤلاء من خروجى من بطن أمى إلى موتى وآبائهم وأمهاتهم وأولادهم وبناتهم وأزواجهم ووالدى أزواجهم وكل من أرضعنى وأولادهم وبناتهم ووالديهم ووالدى أزواجهم يضمن لى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع هؤلاء

أن نموت أنا وكل حى منهم على الايمان والاسلام وأن يؤمننا الله وجميعهم من
جميع عذابه وعقابه وتهويله وتخويفه ورعبه وجميع الشرور من الموت إلى المستقر
فى الجنة وأن يغفرلى ولجميعهم جميع الذنوب ما تقدم منها وما تأخر وأن يؤدى عنى
وعنهم جميع تبعاتنا وتبعاتهم وجميع مظالمنا ومظالمهم من خزائن فضل الله عز
وجل لامن حسناتنا وأن يؤمننى الله عز وجل وجميعهم من جميع محاسبته
ومناقشته وسؤاله عن القليل والكثير يوم القيامة وأن يظلنى الله وجميعهم فى ظل
عرشه يوم القيامة وان يجيزنى ربى وكل واحد من المذكورين على الصراط أسرع
من طرفة العين على كواهل الملائكة وأن يسقينى الله وجميعهم من حوض سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأن يدخلنى ربى وجميعهم جنته بلا حساب
ولا عقاب فى أول الزمرة الأولى وأن يجعلنى ربى وجميعهم مستقرين فى الجنة
فى عليين من جنة الفردوس ومن جنة عدن أسأل سيدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالله ان يضمن لى ولجميع الذين ذكرتهم فى هذا الكتاب جميع ماطلبته
من الله لى ولهم فى هذا الكتاب بكماله كله ضمانا يوصلنى وجميع الذين ذكرتهم
فى هذا الكتاب إلى كل ماطلبته من الله لى ولهم اه فأجابه صلى الله عليه وسلم
بقوله الشريف كل مافى هذا الكتاب ضمنته لك ضمانة لاتتخلف عنك وعنهم أبداً
إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرت فى جوارى فى أعلى عليين وضمنت لك جميع
ماطلبته منا ضمانة لايخلف عليك الوعد فيها والسلام اه وكذلك طلب هذه المطالب
وضمنها له النبي صلى الله عليه وسلم شفاها بلا صك وزاد مريدوه فى خصائصهم
مايقرب من هذه الدعاوى حتى قالوا إن لهم علامة يمتازون بها ويعرف أنهم
تلاميذ المصطفى وفقراؤه وهى أن كل واحد منهم مكتوب بين عينيه محمد صلى
الله عليه وسلم وعلى قلبه مما يلى ظهره محمد عبد الله وعلى رأسه تاج من نور مكتوب
فيه الطريقة التجانية منشؤها الحقيقة المحمدية وأنهم ينالون من ثواب الأذكار
مالا يناله أكابر العارفين والاقطاب ولكل فرد منهم حظ من ثواب الاسم الأعظم

ومهما ذكر كلمة من كل ذكر على الاطلاق ذكر معه سبعون ألف ملك وذكر كل ملك بسبعة آلاف كلمة وكل كلمة بعشر حسنات وأن الله تعالى يعطيهم من عمل كل عامل تقبل الله منه أكثر من مائة ألف ضعف مما أعطى ذلك العامل ومنهم من إذا رآه شخص يوم الاثنين أو الجمعة دخل الجنة بغير حساب ولا عقاب وأن المهدى المنتظر أخوهم فى الطريق اه الى غير ذلك مما أسهب به الشيخان فى كتابيهما الجواهر والرماح المطبوعين معا بمصر سنة ١٣٢٦ فراجعهما إن شئت ففيهما فوق ذلك العجب العجاب

(الداعى لتلخيص هذا التعريف)

لخصنا هذا التعريف من هذين الكتابين حينما وضعنا كتاب المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية سنة ١٣٣٤ وكان من الأسباب الداعية لتلخيصه ولوضع هذه المطالب ما ورد إلى مشيخة الجامع الأزهر من السؤال عن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة وإخباره للشيخ التجانى بأن أولاده كأولاده وأصحابه كأصحابه صلى الله عليه وسلم فعهدت إلينا مشيخة الأزهر الاجابة عنه إذ ذاك وقد ذكرنا فى خاتمة هذه المطالب نص السؤال والجواب والتعريف بالشيخ التجانى موجزا بدون تعرض لمقالاته المأثورة عنه فى تشييد ذكره والاعلام بفضله كما ذكره التجانيون ودونوه فى كتبهم والناظر فى هذه الكتب وما اشتملت عليه من الأقاويل والدعاوى التى أسندوها إلى الشيخ التجانى يرى أنهم بتأليفها وإذاعة ما فيها قد أساءوا لأنفسهم أكثر مما أساءوا لشيخهم بل و يستغرب كثيرا لهؤلاء الأتباع فانك تجدهم بين ما هم ينقلون عنه من الأقاويل والدعاوى ما لخصنا نبذة منه فى التعريف المذكور ينقلون عنه ضد ذلك وأنه كان كثيرا ما يتبرأ من الدعوى وينفر منها أشد النفور ففى صحيفة ٥٧ نقل صاحب الجواهر عن شيخه أنه كان يتبرأ من الدعوى أتم براءة ويتنصل منها غاية التنصل ولا يقبل من أحد فعل ذلك ولا يحب من ينسب إليه شيئا ولا من يصرح له بسر

من الأسرار ولا من يمدحه بحضره وإذا واجهه أحد يوما بثناء عليه لم يسامحه إلا إن كان غائبا ويقول إلى الآن ما حصلت لنا التوبة والايمان الكامل أو كلاما هذا معناه تنبيها للسامعين وإرشادا للتابعين والتعليم بالفعل أبلغ نصحا فجزاه الله خيرا وزاده منة وبرا وقد نجح والحمد لله على ذلك وسرى للأصحاب ما هنالك لايحبون الدعوى ولامن يشتغل بها لما يعلمون من حاله ويسمعون من مقاله ويرون من فراره منها وممن هي فيه لأن الدعوى أشد بلاء من البلوى وكثيرا ما نراه يستعيذ بالله منها ويقول إن عقوبتها الموت على سوء الخاتمة وكان يحب الخمول ولا يحب الظهور ولا من يتعاطاه كما يأتى فى باب زهده إن شاء الله اهـ فان قال قائل إن هذا التبرى وهذا الخمول الذى أسندوه إلى الشيخ التجانى وسرى منه للأصحاب ما سرى إنما صدر منه فى نهاية أمره بعد أن اتصل بمقام التحقيق والتمكين وهذه الأقاويل والدعاوى كانت تصدر منه حينما تنتابه أحوال الاصطلام والتلوين قلنا إن صح هذا فانما يبرىء الشيخ التجانى فيما بينه وبين الله وفى أخراه ولكن لايخليه فى الدنيا من الملامة فيما صدر منه مخالفا لظواهر الشريعة وأحوال الكمل من الأولياء كما صنعه القوم فى قتل الحلاج ونفى أبى يزيد كما لا يخلى أتباعه الناقلين عنه من تبعة الاذاعة والنشر لمثل هذه الأقاويل التى يرى التجانية أنها من الأسرار التى امتاز بها شيخهم عن غيره من الأولياء ويراها غيرهم على العكس من ذلك ألم يعلم أتباع الشيخ التجانى أن الاباحة بالسر عند القوم لا تجوز ثم بعد كتابة هذا رأيت فى جواهر المعانى للشيخ على حرازم ما يؤخذ منه الجواب عن اختلاف هذه النقول المعزوة إلى شيخه حيث قال إنه رضى الله عنه كان أول أمره لما نزل به ما نزل وبدهه ما بدهه مصطلما غائبا لا تفارقه غمرة الحال وهو مع ذلك فى غاية الكمال وقد يتكلم حين يعتريه الحال بأمور لا يفقه الحاضرون مرادها ولا يعرف ذوى الألسن مفادها ولا يعرفها إلا واجدها وينطق أحيانا عند ظهور الحال عليه بمكاشفات ومغيبات من أخبار الزمان وما

يقع فيه من الحدثان ولا يفقه ذلك منه إلا خاصة الخاصة من الاخوان ثم تماسك
بعد ذلك وسكن وبطن حاله وتمكن وعادت الأحوال لا تؤثر فى ظاهره كما كانت
وصار دائما سـا كنا متحركا ومضطربا متماسكا وصاحيا شاربا وحاضرا غائبا
لا يلهيه صحوه عن سكره ولا يمنعه سكره عن صحوه أفاده سكره صحوة وزاده كمالا
وقوة فحظى من التمكين بالمنزل المكين إلى آخر ماذكره فى هـذا المعنى فراجعه
وقد يقال إن هذا مقام آخر ليس الكلام فيه وإنما الكلام فيما صدر عنه مخالفا
للشريعة مع هذا التبرى وهذا الخمول الذى أسندوه إليه وسرى منه لأصحابه
ماسرى وسيأتى فى خبر الصحيفة النورية أن الشيخ التجـانى وأتباعه يرون أن
للنبي صلى الله عليه وسلم تشريعا خاصا للخاصة وأن هذا التشريع لا يزال مستمرا
بعد وفاته صلى الله عليه وسلم كما كان له حال حياته وعلى ذلك فالتجانيون لا يرون
وجوب العمل بأحكام الشريعة الظاهرة العامة إذا تلقوا عن شيخهم أحـكاما
خاصة لم يقم عليها دليل فى الشريعة العامة ومن هذا القبيل قولهم ان صلاة الفاتح
من كلام الله القديم وقول بعضهم إن الولى قد يبلغ مقاما ترفع فيـه التكاليف
الشرعية وقول بعض شيوخ الطرق ومريديهم إذا ارتكبوا امراً يخالف الشريعة
ونهوا عنه نحن من أهل الحقيقة وأنتم من أهل الشريعة أو أنتم من أهل الظاهر
ونحن من أهل الباطن وكل ذلك باطل بلا مرية إن لم يكن كفرا فبريد اليه ونحن
نستبعد وقوع مثـل ذلك من الشيخ التجانى وما تقتضيه نشأته وسيأتى لهـذا
مزيد بيان له وعليه

(الكلام فى نشأة الشيخ التجانى وتأويل أحواله)

ومن تأمل فى نشأة الشيخ التجانى المنوه عنها فى صدر التعريف ونظر فى حالته
قبل اصطلامه وصدور هذه الأقاويل المأثورة عنه لا يشك فى أنه من أهـل
الصحو وأنه على جانب عظيم من العلم والعمل وأنه متمسك بالكتـاب والسنة
تمسك العالمين العاملين فان جميع شيوخه الذين أخذ عنهم العلم والطريق من العلماء

المتمسكين بأحكام الشريعة وآدابها العاملين بها على الوجه الأتم الأكمل وقد ذكر
في جواهر المعاني أنه رضي الله عنه نشأ بين أبويه الصالحين المتقدمين نشأة صالحة
يؤدبانه ويربيانه ويلقنانه تربية أمثالها من أهل البصائر فربى في عفاف وصيانة
وتقى وديانة أبي النفس عالى الهمة ذكى الاخلاق محروسا بالعناية محفوفا بالرعاية
ولم يختلف أحد من أئمة العصر ومن أدركه من حال الشبيبة في أنه رضي الله عنه
كان من المصطفين من عباد الله وممن نشأ في طاعة الله وممن هدى واجتبى إلى
صراط الله فهو رضي الله عنه من المجتهدين في الدين والخائفين من رب العالمين
محافظا على التقوى والورع باذلا مجهوده في ذلك قابضا عنان الخوض عما لا يعنيه
سالكا أشرف المسالك كما لاخلاف في أنه ممن بذل المجهود في طاعة المعبود وممن
طلب العلم في بدايته للقيام بطاعته وعبادته لا ليتوصل به إلى شهوته بل عمل في
بدايته على تصحيح التوبة بشروطها في طريقته بحفظ الشريعة وحدودها إلى أن
قال وبالجملة فالشيخ رضي الله عنه من أعظم الأئمة في وقته وممن أجمع العلماء
على تعظيمه وتوقيره والاحترام له من غير مدافع ولا منازع إلا أنه بعد ماشب
وترعرع وتضاعف نور قلبه وجاءه الفتح المبين من ربه وارتفع وقاده التوفيق الرباني
إلى البحث عن السر الالهي الصمداني فاشتغل بمطالعة كتب القوم وبالانكباب
عليها والتدريس للعلوم والافادة بها حتى انقطع إلى الله وتاقت همته بالله فرفض
جميع العلائق ونبذ من ورائه أنواع العوائق فزاده ذلك نورا على نور وارتقى
بشهوده إلى مرتبة أرباب الصدور فقد أتى رضي الله عنه البيوت من أبوابها وأخذ
الطريقة عن أربابها فاستوجب بذلك الوراثة والامامة فلم يتقدم في عصره أحد
أمامه أخذ رضي الله عنه في الجد والتشمير والاعتزال عن الخلق والفرار منهم
واشتغل بما يخصه من حقوق ربه وما هو مطالب به من التقوى والورع وكان
الناس يأتونه في بعض الأحيان للزيارة فلا يجدون فيه متسعا لكثرة ما كان فيه من
القبض وإذا جاءه أحد ليقبل يديه يغضب ويأبى ذلك وكان رضي الله عنه

شديد التحفظ من الغيبة والنميمة والخوض فيما لا يعنى اهـ وكل هذا إذا صح عنه أو صح بعضه يدل دلالة واضحة على صحة ماتوخيناه عنه فى أول أمره وأن هذه المفاجآت الحالية قد طرأت له بعد فاذا صح صدورها عنه فلا يخلو إما أن تكون من الأحوال التى قد تطرأ على العارفين حال فنائهم فى محبة الله وغيبتهم عن هذا العالم المحسوس فتخرجهم عن رسوم الشريعة ظاهرا وهم عند الله ناجون كما وقع للحلاج وأمثاله وإما أن تكون من الأحوال التى قد تطرأ على كثير من السائرين فى طريق القوم قبل وصولهم أو بعده وقبل نضوجهم فتخرجهم عن جادة الطريق وتعوقهم عن السير إلى الله تعالى فيقفون موقف العامة وقد تذهب بهم إلى أمد بعيد فتخرجهم عن دائرة الفيض إلى دائرة الخيال المحض وفى هذه الحالة قد يقع لعليم اللسان منهم ما هو كالفتح فينسج من الخيال ماشاء أن ينسج بل قد تصدر عنهم خوارق العادات كما سيأتى وما أظن أن الشيخ التجانى من هذا القبيل والله أعلم بحقيقة حاله نعم قد يفهم من سرعة تنقله فى الطريق من شيخ إلى شيخ ومن طريق إلى طريق ثم نبذه سائر الطرق التى انتسب اليها أنه كان من ذوى النفوس المستعدة للتطور وأن حالته كانت غير ثابتة بل كانت متقطعة ما بين صحو وبقاء ووجد وفناء وعلى كل حال فحكم أهل الظاهر فيه بل والمحققين من أهل الباطن أنه إن كان ماعزى إليه صحيحا وصدر عنه فى حالة الصحو وكان مخالفا للشريعة فلابد من مؤاخذته بمقدار هفوته وان كان فى حال غيبة وفناء سلبه عقل التدبير الرسمى فقوله كفعله هدر عند الله تعالى ولكن فى دار الآخرة لا فى هذه الدار التى لابد فيها من المؤاخذة بتنفيذ حدود الشريعة وتعاذيرها مع التأويل لكلامه والاعتذار عن أقواله تنزيها لمقامه وصحة حاله وحماية لجانب الدين من عبث العابثين وزندقة المتزندقين

(الكلام فى شطح الحلاج وأمثاله وتأويل كلام العارفين منهم)

كما ذكره القوم فى شطح الحلاج وهو من العارفين حيث قال أنا الله أومافى الجبة الا الله وشطح أبى يزيد البسطامى حيث قال سبحانى ما أعظم شانى وليس

شطحهما بمثل هذه الكلمات أقل من شطح التجانى وأمثاله وإن كان هذا فى واد وذاك فى واد آخر وأودية أهل الفناء كما سيأتى ليس لها حدود وعلى كل حال فما يصدر عنهم حال غيبتهم من العبارات الموهمة يجب صرفه عن ظاهره تنزيها لهم عن ظواهر تلك العبارات التى لا تليق بأمثالهم لا لدفع لوم الشريعة عنهم إذ هم ملامون على صدور تلك الظواهر وإن كانت مصروفة إلى محامل لائقة بهم كما يشير إليه الأستاذ أبو المعارف سيدى أحمد شرقاوى حيث قال فى مورده الرحمانى :

كلامهم مؤول محمول * وحمله مبتذل معقول

أى كلام هؤلاء القوم الصادر منهم حال غلبة الوجد والفناء مؤول أى مصروف عن ظاهره ويلزمنا أن نعتقد ذلك فيهم تنزيها لهم وحمله مبتذل أى قريب معقول المعنى لقيام مقتضيه وظهور داعيه فمن غلب عليه سكره فقال فى شطحاته أنا الله أو ما فى الجبة إلا الله فتأويله على ما ذكره صاحب حل الرموز انه لفنائه فى محبة ربه صار متكلما بلسانه سامعا بسمعه ناظرا ببصره باشارة فبى يسمع وبى يبصر وبى يتكلم فهو فى قوله صادق وللحقيقة موافق لأنه ما أراد بالأنانية نفسه إذ هو مأخوذ عن نفسه مجذوب عن حسه فآخذه وسالبه وجاذبه هو المتكلم على لسانه بلسانه وشاهد ذلك قصة أبى يزيد رضى الله عنه حيث قال سبحانى ما أعظم شانى فأنكروا عليه فقال حق سبح نفسه على لسان عبده وان الحق إذا أحب عبدا أبدى عليه بادية منه فغيبه به عنه ومن أراد كشف هذا السر الخفى بالكشف الجلى فليتدبر قوله عليه الصلاة والسلام مخبرا عن ربه عز وجل لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً وفؤادا وسئل الجنيد عن المحبة فقال هى دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب وقيل المحبة نار تحرق القلب فلا تدع فيه سوى المحبوب قال السرى السقطى لا تصح المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر يا أنا وذلك لأنه إذا غلبت المحبة فنى المحب عن نفسه وتوهم أنه عين المحبوب كما حكى عن بعض المحبين أنهما ركبا فى البحر فسقط أحدهما فيه فألقى الآخر نفسه فأخرجهما الغواصون سالمين فقال أحدهما لصاحبه أما أنا

فسقطت فأنت لم رميت نفسك فى البحر فقال غبت بك عنى فتوهمت أنك أنى وسئل المجنون أتحب ليلى فقال لا فقيل له وكيف فقال لأن المحبة ذريعة الوصلة وقد سقطت الوصلة بينى وبين ليلى فانا ليلى وليلى أنا وقد قيل فى ذلك

بكم أتحدث هوى فلو حييتكم * قلت السلام على إذ أنتم أنا

ولا عجب فان هذه دودة البقل لمجاورتها لبقلتها وانقطاعها إليها واستمدادها منها قد اتصفت بصفتها ولبست حلتها حتى أنك لا تفرق بينها وبين بقلتها لفنائها عن الصفات الدودية وبقائها بالصفات البقلية فما بالك بقلب قطع مادته عما سوى الله وجعل غذاءه ذكر الله وشرابه حب الله وحركته بالله وقيامه لله وأفنى وجوده ببقاء الله فهو غائب فى حضرته حاضر فى غيبته غاب فى ذكره بمذكوره ودهش فى نظره بمنظوره فلا عجب أن يقول أنا هو اه ملخصا من حل الرموز كما نقله الاستاذ الشيخ احمد الشهير بالطاهر الحامدى فى شرحه المسمى بالكشف الربانى عن المورد الرحمانى لأبى المعارف سيدى أحمد بن شرقاوى فى علمى التوحيد والتصوف ومنه فى هذا المقام

وها هنا للقوم قرب وافر * ووارد يسطو وشطح ظاهر
ومسلك يخفى عن الأوهام * ومشهد يسمو عن الأفهام
فربما لم يضبطوا كلامهم * على أصول الشرع حتى لامهم
مع أنهم فى عين وصل الظاهر * وحالهم دقت عن أهل الظاهر
فاصبحوا قتلى وهم أحياء * وقتلهم فى حبهم إحياء

ولهذا قال النصراباذى محبة توجب حقن الدماء ومحبة توجب سفك الدماء ومن المحبة التى توجب سفك الدماء محبة الحلاج رضى الله عنه وذلك أنه تفوه بها فمه فأبيح دمه إذ حكم من باح أن دمه مباح وفى ذلك أنشدوا

فمن شهد الحقيقة فليصنها * وإلا سوف يقتل بالسنان
كحلاج المحبة إذ تبدت * له شمس الحقيقة بالتدانى

قيل لما قدم الحلاج إلى القتل قال اللهم بحق قيامك بحقى وبحق قيامى بحقك وقيامى

بحقك يخالف قيامك بحقي لأن قيامي بحقك ناستوية وقيامك بحقي لاهوتيه
وكما أن ناستويتي مستهلكة في لاهوتيتك غير ممازجة لها فلاهوتيتك مستولية
على ناسوتيتي غير مماسة لها أسألك أن توفقني لشكر هذه النعمة التي انعمت بها
على حيث غيبت غيري عما كشفت لي من مطالعة وجهك وحرمت على غيري
ما أبحت لي من النظر في مكنونات سرك وهؤلاء عبيدك قد اجتمعوا لقتلي تعصبا
لدينك وتقربا إليك فاغفر لهم فانك لو كشفت لهم ما كشفت لي مافعلوا ولو سترت
عني كما سترت عنهم لما ابتليت بما ابتليت فلك الحمد فيما تفعل ولك الحمد فيما تريد

(علامة المحبة الموجبة لصحة الحال وتأويل المقال)

قال الغزالي ومن علامات المحبة كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي عن إظهار
الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب وإجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر
من أسرار الحبيب ولأنه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه ويكون
ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه في العقبى وتتعجل عليه البلوى في الدنيا وقال
الشيخ بكر بن خلدون قتل الحلاج كان بفتوى أهل الشريعة والحقيقة لأنه باح
بالسر فوجبت عقوبته ونحوه قول أبي العباس بن البنا اتفق الجميع على قتل الحلاج بعد أن
اختلفوا فيه وممن أفتى بقتله خاله الجنيد والشبلي بل هو نفسه قال ما على المسلمين أهم من قتلي
وقال الشيخ أبو العباس زروق وجه فتوى الجماعة بقتله النصح في الدين من دعوى
الزنادقة لا إقراره على نفسه وإعانته على قتله بما علم براءته من حقيقته وبه يجاب عن قول
أبي يزيد رضي الله عنه سبحاني ما أعظم شاني فأخبره بعض السامعين له بعد رجوعه
إلى نفسه بذلك فقال لو قتلتموني في تلك الحالة لكنتم غزاة مثابين على قتلي وكنت
نائلا درجة الشهداء وفي الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية للقطب الشعراني
قال سمعت سيدي عليا الخواص يقول اللوم على الصوفي أكثر من اللوم على الفقيه
لأن سلطان الشريعة ومحل استعمالها إنما هو في هذه الدار ومن استعمل الحقيقة
هنا فقد استعملها في غير محل سلطانها وهو الدار الآخرة وسمعه أيضا يقول

مصلحة الفقيه فى الانكار أكثر ثمرة من التسليم لأنا لو سلمنا لكل من انتسب للصوفية مقاله وحاله لتلف نظام الشريعة فكان الانكار أرضى لله ولرسوله ولذلك قام الجنيد والأكابر من الصوفية على الحلاج لما شطح وقالوا له فتحت فى الاسلام ثغرة لا يسدها إلا رأسك ونقل الثقاة كالشيخ أبى عبد الرحمن السليمى وابن خلكان والشيخ عبد الغفار القوصى أنهم نفوا الشيخ أبا يزيد البسطامى سبع مرات لما تكلم بعلوم غريبة لا عهد لأهل بلده ولا علم لهم بها فى مقامات الأنبياء والأولياء وأسرار الشريعة وأخرجوا سهل بن عبد الله التسترى مع علمه وجلالة قدره من بلده إلى البصرة ونسبوه إلى القبائح بل كفروه ورموا أبا سعيد الخراز بالعظائم أيضا وكفروا أبا القاسم الجنيد وأخرجوا محمد بن الفضل البلخى من بلده وأبا عبد الله الحكم الترمذى وأنكروا على يوسف بن الحسين الرازى والشيخ أبى عثمان المغربى والشبلى وأبى بكر النابلسى وأبى مدين وأبى القاسم النصراباذى وغير هؤلاء من الأئمة الذين اشتهروا بالفضل والعلم وصحة الحال من المتقدمين والمتأخرين كما هو مذكور فى كتب التاريخ والتراجم فاذا كان هذا حال الأئمة الذين صفت قلوبهم وصحت أحوالهم من الأولياء فكيف بحال من لم يصح لهم حال ولم يصف لهم بال من الأدعياء فهذا الفريق لاشك أنه يجب على كل مسلم تأهب للذب عن الشريعة أن يرد عليه فى مقالاته الموهمة ودعاويه الواهمة بدون داع إلى تأويل ما يصدر عنه من العبارات المنكرة فان التعرض لتأويل الكلام الموهم وحمله على محامل حسنة إنما هو لفريق آخر وهو من انتسب للقوم بحق وعرف بصحة الحال وصدر عنه ماصدر حال غيبته واعترف عند صحوه بعظيم هفوته وخضع لحكم الشرع عند إفاقته كالحلاج ومن على شاكلته فان كان الشيخ التجانى ممن بلغ هذا المقام كان من أهل الشطح العارفين ولزم تأويل كلامه الصادر منه حال غيبته تنزيها له عن ظواهر تلك العبارات التى لا تليق بمثله وصح لنا أن نعتقد أنه فى هذه الدار من الأولياء العارفين وفى الآخرة من المسلمين الناجين ومع ذلك لا بد من إقامة

أحكام الشريعة عليه حسب ظاهر عبارته وتأثيم أصحابه الذين فاتهم التنبيه على ملامته نصحا فى الدين وحماية لجانبه وإن كان ممن لم يبلغ هذا المقام فليس من القوم فى شىء إذا علمت هـذا فطلب السائل التجانى من علماء المذاهب الأربعة أن يطالعوا كتب القوم الخ لاداعى اليه بل أى واحد منهم راجع كتابا واحدا من كتب القوم ولخص منه هذه النبذة نقلاعن أكابر القوم وأئمة الدين لا يحتاج فى الاجابة عن هذا السؤال الى هذه المراجع واعلم أن حكم المنهج الآن فى حالة الشيخ التجانى إنما هو باعتبار ماعزاه اليه أصحابه فى كتبهم من الاغراق فى ذكره والتنويه بشأنه مما أوجب الريبة فى نفوس من لم يقف على جلية أمره فالحكم فى الحقيقة ليس على ذات الشيخ التجانى وإنما هو على صاحب هذه الدعاوى فاذا لم يصح صدورها عنه فالأمر بالنسبة اليه والى الناقمين عليه من هذه الجهة فى حل ويبقى الكلام فى المتقولين عليه وإن صح صدورها عنه فسواء كان من القوم بحق أودعيا فيهم فحكم الشرع فيه من جهة اللوم لايختلف وأما من جهة تأويل كلامه وصحة حاله فان كان نسيبا فى القوم فمن أهل الشطح وقد علمت حكمه وان كان دعيا فليس منهم فى شىء وأهل الشطح كما تقدم يلزم حسن الظن بهم ويطلب من أكابر العلماء تأويل كلامهم بصرفه عن ظاهره ورده إلى المعنى اللائق بمقامهم بطريق دقيق يعرفه من ذاق علوم القوم وعرف مقاصد الشرع

(بيان الشطح عند القوم)

والشطح عندهم كلمة دعوى بحق تفصح عن مرتبة قائلها التى أعطاها الله له من المكانة عنده أفصح بها من غير أمر إلهى وأما إذا أمر بها فانه يفصح بها تعريفا عن أمر إلهى لا يقصد بذلك الفخر كما قال عليه الصلاة والسلام أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى ما قصدت الافتخار عليكم بهذا التعريف ولكن أنبأتكم به لمصالح لكم فى ذلك ولتعرفوا منة الله عليكم برتبة نبيكم عند الله فلا يعد مثل هذا شطحا كيف والشطح من زلات المحققين والأنبياء ساداتهم وحاشاهم أن يصدر منهم زلات

فضلا عن سيد الجميع صلى الله عليه وسلم ولهذا قالوا الشطح رعونة نفس لا تصدر من محقق أصلا إلا على وجه الزلة لأن المحقق ماله مشهود سوى ربه وعلى ربه ما يفتخر وما يدعى بل هو ملازم عبوديته متهيء لما يرد من أوامره فيسارع اليها وينظر جميع ما فى الكون بهذه المثابة فاذا شطح انحجب عما تلقاه وجهل نفسه وربه ولو انفعل عنه جميع ما يدعيه من القوة فيولى ويعزل وليس عند الله بمكانة بل حكمه فى ذلك حكم الدواء المسهل أو القابض يفعل بخاصية الحال لا بالمكانة عند الله كما يفعل الساحر بخاصية الصنعة فى عيون الناظرين فكل من شطح فعن غفلة شطح وما رأينا أو سمعنا عن ولى ظهر منه شطح لرعونة نفس وهو ولى عند الله تعالى إلا ولا بد أن يفتقر ويذل ويعود إلى أصله ويزول عنه ذلك الزهو الذى كان يصول به فذلك لسان حال الشطح إذا كان بحق فكيف لو صدر من كاذب كذا قال الشيخ الأكبر وأما إذا صدر الشطح عن أمر إلهى واذن ربانى وتقدم أنه لا يكون على وجه الفخر فلا يكون مذموما ويصدر عن المحققين والانبياء وهو فى الحقيقة ليس بشطح كما يؤخذ من تعريفه المذكور فما صدر عن الحلاج وأمثاله ممن صحت أحوالهم إن كان عن أمر إلهى لا يعد شطحا وإن كانت صورته صورة الشطح ومن ذلك قول الاستاذ سيدى أحمد الشرقاوى

ألا ياليل ثم السعد تاحا * ألا ياليل نجم العز لاحا
ألا ياليل مسك القرب فاحا * فقال اشطح فانا قد أبحنا

وان لم يكن عن أمر إلهى فهو شطح مذموم فان كان من المحققين فمن زلاتهم وإلا فمن عاداتهم وهم أهل التلوين وقد يراد من الشطح الانبساط الذى هو عند القوم أثر من آثار الانس وذلك أن الانس إذا دام واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغيير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط فى الأقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه يحتمل ممن أقيم فى مقام الانس ومن لم يقم فى ذلك المقام وتشبه

بهم فى الفعل والكلام هلك وأشرف على الكفر وعلى هذا الميزان يمكنك إذا لم تكن على بينة من أمر الشيخ التجانى أن تضع أحواله التى أذاعها عنه أصحابه فى كفة وأحوال أهل التلوين والشطح العارفين فى كفة أخرى من هذا الميزان لتكون على بينة من أمره ومع ذلك فالحلال بين والحرام بين ومن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه وفى الحديث دع ما يريبك إلى مالا يريبك وسيف الشريعة مسلول محدود على كل من جاوز الحدود فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وليس فى الامر جزاف

(الكلام فى البهاليل والمجاذيب والفرق بينهما وبين الولى الشرعى)

وهناك فريق آخر يعزى إلي القوم مفطور على الجذب والعته وله أحوال ظاهرة تدل على صفاء باطنه وأنه واجد فى مشهد السر فاقد فى مشهد العلانية فى سفينة الراغب نقلا عن صاحب المقاصد أن هناك قوما من المتصوفة يدعون بالبهاليل معتوهين أشبه شىء بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق مع أنهم غير مكلفين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشىء فيطلقون كلامهم فى ذلك ويأتون منه بالعجائب وربما ينكر الفقهاء أنهم على شىء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم وأن الولاية لاتحصل الا بالعبادة وهو غلط فانه فضل الله يؤتيه من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها واذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فالله تعالى يخصها بما يشاء من مواهبه وهؤلاء القوم لم تعدم نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين وانما فقد لهم العقل الذى يناط به التكليف وهو صفة خاصة للنفس وهى علوم ضرورية للانسان يشتد بها نظره ويعرف أحوال معاشه واستقامة منزله وكأنه إذا ميز أحوال معاشه لم يبق له عذر فى قبول التكليف واصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بفاقد لنفسه ولا ذاهل عن حقيقته فيكون موجود الحقيقة معدوم،

العقل التكليفى الذى هو معرفة المعاش ولا استحالة فى ذلك ولا يتوقف اصطفاء الله عباده للمعرفة على شىء من التكاليف فاذا صح ذلك فاعلم أنه ربما يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة ويلحقون بالبهائم ولك فى تمييزهم علامات منها أن هؤلاء البهاليل تجد لهم وجهة مالا يخلون عنها أصلا من ذكر وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا تجد لهم وجهة أصلا ومنها أنهم يخلقون على البله من أول نشوهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعد برهة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة ومنها كثرة تصرفهم فى الناس بالخير والشر لانهم لايتوقفون على اذن لعدم التكليف فى حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا فصل انتهى بنا الكلام اليه من مقدمة تاريخ العبر لابن خلدون اه وقوله والولاية لاتحصل إلا بالعبادة وهو غلط الخ هذا إنما هو فى الولاية العامة وأما الولاية الشرعية الكاملة فلابد فيها من العمل بالشريعة على الوجه الاتم الاكمل ولذا عرفوا الولى بأنه القائم بحقوق الله وحقوق عباده وبعبارة أخرى هو العارف بالله تعالى وصفاته حسبما يمكنه المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات والقوم قد يطلقونه على المجذوب وهو من جذبه الحق إليه ولم يحفظ رسم الشريعة عليه وقد علمت أن هذا لايطلق عليه اسم الولى عند أهل الرسم بل هو داخل فى حد المجنون عندهم لفقده عقل التكليف المعتبر فى التدبير المنزلى والنظام المدنى وإن كان واجدا فى مشهد آخر والفرق بينه وبين المجنون المحض أن المجذوب مسلوب معوض فاقد لنور العقل الطبيعى فى مشهد واجد للنور الالهى فى مشهد آخر والمجنون مسلوب غير معوض فى كلا المشهدين والجذب كالجنون يكون متقطعا فيكلف صاحبه فى وقت دون وقت ومطبقا فلا يكلف أبدا وظهور الخوارق على يد المجاذيب أكثر من ظهورها على يد الولى الكامل والكرامة ليست لازمة للولى مطلقا إذ حقيقة الولى لا تقتضيها ولا هى عندهم من المراتب المقصودة ولا دلالة

لها على كمال الاستقامة كما قال ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة و إنما تدل على اختصاص صاحبها من الله تعالى وأنه من أهل طاعته فيتعين تعظيمه واحترامه لا تقديمه واتباعه إلا أن يظهر عليه كمال الاستقامة وهى عند القوم كما قال سيدى أحمد زروق فى شرح الحكم هى الاستواء فى اتباع الحق ظاهرا و باطنا على منهج السداد بلا علة فمقام الاستقامة فوق مقام اختصاص الكرامة وكلاهما من أوصاف ذوى النفوس المطهرة

(تقسيم الخوارق وعدم اختصاصها بالأنبياء والأولياء)

والخارق لا يختص بنفوس الأنبياء والأولياء كرامة أو معجزة بل قد يظهر على يد غيرهما إرهاصا أو معونة أو استدراجا أو إهانة كما هو مذهب أهل الحق فى ذلك فقد قسم علماء الكلام الخارق إلى ستة أقسام لأنه إن ظهر على يد مسلم وكان مقرونا بكمال العرفان واقترن بدعوى النبوة فمعجزة وإن لم يقترن بها وظهر على يد النبى قبل نبوته فارهاص و إن لم يقترن بدعوى النبوة فكرامة و إن ظهر على يد مسلم ولم يكن مقرونا بكمال العرفان فمعونة وهو مايظهره الله تعالى على يد عوام المسلمين تخلصا لهم من المحن والمكاره و إن ظهر على يد الكافر وكان موافقا لدعواه فاستدراج و إلا فاهانة كما روى أن مسيلمة الكذاب دعا لأعور أن تصير عينه العوراء صحيحة فصارت الصحيحة عوراء وقد يطلق اسم الاستدراج على ما يطلق عليه اسم المعونة أنظر تمام الكلام على الخوارق العادية فى كتاب المطالب القدسية و إنما أطلنا الكلام فى هذا المقام ليعلم الناظر فى هذه العجالة أن أصحاب الشيخ التجانى وأتباعه الذين تصدوا لنشر هذه الدعاوى و برهنوا عليها بما نقلوه فى كتبهم مما ذكرنا نبذة منه فى التعريف لم يحسنوا صنعا ولم يدلوا على شيخهم بما يلائم حاله فى زعمهم ولا صانوه من ألسنة الناقدين وأنظار النابهين وأقل ما يتسرب إليه من نشر هذه الدعاوى والأقاويل التى نسبوها إليه أن يقال فيه انه ليس من أهل الولاية فى شىء فضلا عن أن يكون من أهل التحقيق فالتبعة على

أصحابه الذين لم يحموا حماه ولم يتقوا الله فيه حق تقواه ومن الغريب أنهم لا يرضون ان يعتذر عنه بأنه من البهاليل الذين يعزون إلى السادة الصوفية لأنهم من المعاتبة الذين فطروا على الجذب والبله والشيخ التجانى عندهم من أهل العلم الظاهر والباطن وأهل الحكمة العملية فى التهذيب النفسى والتدبير المنزلى والمدنى كما هو مسطور فى كتبهم فيكون بما نسبوه إليه وأذاعوه عنه إما من أهل الشطح العارفين وإما صنف آخر من خليقته تعالى لا يعلم حقيقته إلا الله جل شأنه ولا يسعنا إن صح ماعزى إليه أن نحده بأكثر مما حد به نفسه بنفسه وقفاه فى ذلك أكابر تلامذته الذين نوهوا بشأنه وشرحوه ما لا يشرحه أحد من أبناء جنسه وتقدم لنا ترديد آخر فى شأنه وبالجملة فنحن لم يخلص لنا فيه عقيدة تعتمد على دليل يعول عليه لا من كلام أصحابه المتغالين فى التنويه بشأنه ولا من كلام غيرهم من المتصدين لنصرته والمتشيعين لنزعته بدون تحقيق حالته فالأسلم التوقف فى أمره والله أعلم بحقيقته . هذا مانراه فى شأنه

(كلام ابن القيم فى معنى الفناء وأقسامه عند القوم)

وبعد كتابة هذا تصفحت مدارج السالكين للعلامة شمس الدين أبى عبدالله محمد بن بكر الحنبلى الشهير بابن قيم الجوزية المولود سنة ٦٩١ شرح منازل السائرين فى التصوف للعلامة أبى اسماعيل عبدالله بن محمد بن على شيخ الاسلام الأنصارى الحنبلى الهروى المتوفى سنة ٤٨١ فرأيت فيه تحقيقات نفيسة فى معنى الفناء وأقسامه عند القوم وأن منه ماهو محمود ومنه ماهو مذموم وأنه قد يعرض للسائر على دربه معاطب ومهالك ربما تذهب به مذهبا بعيدا فتخرجه عن دائرة القوم بل عن ملة الاسلام كما أشرنا اليه فرأيت أن أقتطف من ثماره نبذة ألحقها بهذا الموضع ليكون الناظر فى مقدمة المنهج على بينة من الأمر فيما يعزى الى الشيخ التجانى وأمثاله من الطوائف التى يصدر عنها مثل هذه الأقاويل والدعاوى حال غيبتهم قال رحمه الله الفناء الذى يشير اليه القوم ويعملون عليه أن تذهب المحدثات

فى شهود العبد وتغيب فى أفق العدم كما كانت قبل أن توجد ويبقى الحق تعالى كما
لم يزل ثم تغيب صورة المشاهد ورسمه أيضا فلا يبقى له صورة ولا رسم ثم يغيب
شهوده أيضا فلا يبقى له شهود ويصير الحق هو الذى يشاهد نفسه بنفسه كما كان
الأمر قبل إيجاد المكونات وحقيقته أن يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل
وبعد أن ذكر المصنف الفناء ودرجاته وأطال الشارح فى بيانها قال فصل إذا
عرف مراد القوم بالفناء فنذكر أقسامه ومراتبه وممدوحه ومذمومه ومتوسطه
فاعلم أن الفناء مصدر فنى يفنى فناء إذا اضمحل وتلاشى وعدم وقد يطلق
على ما تلاشت قواه وأوصافه مع بقاء عينه ولكن القوم اصطلحوا على وضع
هذه اللفظة لتجريد شهود الحقيقة الكونية والغيبية عن شهود الكائنات
وهذا الاسم يطلق على ثلاثة معان الفناء عن وجود السوى والفناء عن
شهود السوى والفناء عن إرادة السوى فأما الفناء عن وجود السوى فهو فناء
الملاحدة القائلين بوحدة الوجود وأنه ما ثم غيره وأن غاية العارفين والسالكين
الفناء فى الوحدة المطلقة ونفى التكثر والتعدد عن الوجود بكل اعتبار فلا
يشهد غيرا أصلا بل يشهد وجود العبد عين وجود الرب بل ليس عندهم فى
الحقيقة رب وعبد فهذا فناء هذه الطائفة وهو فناء باطل وأما الفناء عن شهود
السوى فهو الفناء الذى يشير اليه أكثر الصوفية المتأخرين ويعدونه غاية وهو
الذى بنى عليه أبو اسماعيل الانصارى كتابه وجعله الدرجة الثانية فى كل باب
من أبوابه وليس مرادهم فناء وجود ماسوى الله فى الخارج بل فناؤه عن شهودهم
وحسهم فحقيقته غيبة أحدهم عن سوى مشهوده بل غيبته أيضا عن شهوده ونفسه
لأنه يغيب بمعبوده عن عبادته وبمذكوره عن ذكره وبموجوده عن وجوده
وبمحبوبه عن حبه وبمشهوده عن شهوده وقد يسمى حال مثل هذا سكرا
واصطلاما ومحواً وجمعا فهذا فناء هذه الطائفة وهو فناء حق لأن الحقائق عند
هؤلاء متميزة فى ذاتها فالرب رب والعبد عبد والخالق بائن عن المخلوقات ليس

في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ولكن في حال السكر والمحو والاصطلام والفناء قد يغيب عن هذا التمييز وفي هذه الحالة قد يقول صاحبها ما يحكى عن أبي يزيد أنه قال سبحاني ما أعظم شاني وما يحكى عن الحلاج أنه قال ما في الجبة الا الله ونحو ذلك من الكلمات التي لو صدرت عن قائلها وعقله معه لكان كافرا ولكن مع سقوط التمييز والشعور قد يرتفع عنه قلم المؤاخذة وهذا الفناء يحمد منه شيء ويذم منه شيء ويعفى منه عن شيء فيحمد منه فناؤه عن حب ماسوى الله وعن خوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والالتفات اليه بحيث يبقى دين العبد ظاهراً وباطنا كله لله وأما عدم الشعور والعلم بحيث لا يفرق صاحبه بين نفسه وغيره ولا بين الرب والعبد مع اعتقاده الفرق ولا بين شهوده ومشهوده بل لا يرى السوى ولا الغير فهذا ليس بمحمود ولا هو وصف كمال ولا هو مما يرغب فيه ويؤمر به بل غاية صاحبه أن يكون معذوراً لعجزه وضعف قلبه وعقله عن احتمال التمييز والفرقان وانزال كل ذي منزلة منزلته موافقة لداعي العلم ومقتضى الحكمة وشهود الحقائق على ماهي عليه والتمييز بين القديم والمحدث والعبادة والمعبود فينزل العبادة منازلها ويشهد مراتبها ويعطي كل مرتبة منها حقها من العبودية ويشهد قيامه بها أكمل مراتبه فان شهود العبد قيامه بالعبودية أكمل في العبودية من غيبته عن ذلك لأن أداء العبودية في حال غيبة العبد عنها وعن نفسه بمنزلة أداء السكران والنائم وأداؤها في حال كمال يقظته وشعوره بتفاصيلها وقيامه بها أتم وأكمل وأقوى عبودية فتأمل حال عبدين في خدمة سيدهما أحدهما يؤدي حقوق خدمته في حال غيبته عن نفسه وعن خدمته لاستغراقه بمشاهدة سيده والآخر يؤديها في حال كمال حضوره وتمييزه اشعار نفسه بخدمة السيد وابتهاجها بذلك فرحا بخدمته وسرورا والتذاذا منه واستحضارا لتفاصيل الخدمة ومنازلها وهو مع ذلك عامل على مراد سيده منه لا على مراده من سيده فاي العبدين أكمل فالفناء حظ الفاني ومراده والعلم والشعور والتمييز والفرق وتنزيل الأشياء

منازلها وجعلها فى مراتبها حق الرب ومراده ولا يستوى صاحب هذه العبودية وصاحب تلك نعم هذا أكمل حالا من الذى لاحضور له ولا مشاهدة بل هو غائب بطبعه ونفسه عن معبوده وعن عبادته . وصاحب التمييز والفرقان وهو صاحب الفناء الثالث أكمل منها فزوال العقل والتمييز والغيبة عن شهود نفسه وأفعالها لا يحمد فضلا عن أن يكون فى أعلا مراتب الكمال . بل يذم إذا تسبب اليه وباشر أسبابه وأعرض عن الأسباب التى توجب له التمييز والعقل . ويعذر إذا ورد عليه ذلك بلا استدعاء بل كان مغلوبا عليه كما يعذر النائم والمغمى عليه والمجنون والسكران الذى لا يذم على سكره كالمجبر والجاهل بكون الشراب مسكرا ونحوهما . وليس أيضا هذه الحال بلازمة لجميع السالكين بل هى عارضة لبعضهم . منهم من يبتلى بها كأبى يزيد وأمثاله ومنهم من لا يبتلى بها وهم أكمل وأقوى فان الصحابة رضى الله عنهم وهم سادات العارفين وأئمة الواصلين المقربين وقدوة السالكين . لم يكن منهم من ابتلى بذلك مع قوة إرادتهم وكثرة منازلاتهم ومعاينة مالم يعاينه غيرهم ولا شم له رائحة ولم يخطر على قلبه . فلو كان هذا الفناء كمالا لكانوا هم أحق به وأهله وكان لهم منه مالم يكن لغيرهم . ولا كان هذا أيضا لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حال من أحواله صلى الله عليه وسلم . ولهذا فى ليلة المعراج لما أسرى به وعاين ماعاين مما أراه الله إياه من آياته الكبرى لم تعرض له هذه الحال . بل كان كما وصفه الله عزوجل بقوله « مازاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى » وقال « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس » وقال ابن عباس : هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به ومع هذا فأصبح بينهم لم يتغير عليه حاله ولم يعرض له صعق ولا غشى يخبرهم عن تفاصيل ما رأى غير فان عن نفسه ولا عن شهوده . ولهذا كانت حاله أكمل من حال موسى بن عمران صلى الله عليهما وسلم لما خر صعقا من تجلى الله للجبل وجعله دكا ثم قال

(فصل فى عوارض الفناء)

ويعرض للسالك على درب الفناء معاطب ومهالك لاينجيه منها إلا بصيرة العلم

إن صحبته فى سيره و إلا ففى سبيل من هلك منها إذا اقتحم عقبة الفناء ظن أن
صاحبها قد سقط عنه الأمر والنهى لتشويشه على الفناء ونقضه له والفناء عنده
غاية العارفين ونهاية التوحيد فيرى ترك كل ما أبطله وأزاله من أمر ونهى أو غيرهما
و يصرح بعضهم بأنه إنما يسقط الأمر عمن شهد الارادة وأما من لم يشهدها فالأمر
والنهى لازم له ولا يعلم هذا المغرور أن غاية ما معه الفناء فى توحيد أهل الشرك الذى
أقروا به ولم يكونوا به مسلمين البتة كما قال تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات
والأرض ليقولن الله » وقال « قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون
لله قل أفلا تذكرون » وقال تعالى « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » قال
ابن عباس نسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله وهم يعبدون غيره .
ومن كان هذا التوحيد والفناء فيه غاية توحيده انسلخ من دين الله ومن جميع رسله
وكتبه إذا لم يتميز عنده ما أمر الله به مما نهى عنه ولم يفرق بين أولياء الله وأعدائه
ولا بين محبوبه ومبغوضه ولا بين المعروف والمنكر وسوى بين المتقين والفجار
والطاعة والمعصية بل ليس عنده فى الحقيقة إطاعة لاستواء الطلبة فى الحقيقة التى
هى المشيئة العامة الشاملة وأصحاب هذه الحقيقة اتباع كل ناعق يميلون مع كل
صائح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق إذا تناهوا فى حقيقتهم
واضافوا الجميع إلى الله إضافة المحبة والرضا وجعلوها عين المشيئة والخلق ضاهوا
الذين قال الله تعالى فيهم « وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا من دونه من
شىء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء » وقولهم عن آلهتهم « لو شاء
الرحمن ما عبدناهم » وقولهم « إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها » .
فاحتجوا باقرار الله لهم قدرا وكونا على رضاه ومحبته وأمره وأنه لو كره ذلك لحال
بينهم و بينه ولما أقرهم عليه فجعلوا قضاءه وقدره عين محبته ورضاه وورثهم من
سوى بين المخلوقات ولم يفرق بالفرق النبوى القرآنى وطائفة من المشركين ذكرت
ذلك معارضين لأمر الله ونهيه وما بعث به رسله بقضائه وقدره فعارضوا الحقيقة

الدينية الشرعية بالحقيقة الكونية القدرية ووراثهم من يحتج بالقضاء والقدر في مخالفة الأمر والنهي وكلتا الطائفتين أبطلت أمره ونهيه بقضائه وقدره فانظر إلى اقتسام الطوائف في هذا الموضع وافتراقهم في مفرق هذا الطريق علما وخبرا وسلوكا وحقيقة وتأمل أحوال الخلق في هذا المقام تنكشف لك أسرار العالمين وتعلم أين أنت وأين مقامك وتعرف ماجنى هذا الجمع وهذا الفناء على الايمان وماخرب من القواعد والأركان . وتتحقق حينئذ أن الدين كله فرقان في القرآن . فرق في جمع وكثرة في وحدة كما تقدم بيانه . وأن أولى الناس بالله وكتبه ورسله ودينه أصحاب الفرق في الجمع . فيقومون بالفرق بين مايحبه الله ويبغضه ويأمر به وينهى عنه ويواليه ويعاديه علما وشهودا وإرادة وعملا مع شهودهم الجمع لذلك كله في قضائه وقدره ومشيئته الشاملة العامة فيؤمنون بالحقيقة الدينية والكونية ويعطون كل حقيقة حظها من العبادة . فحظ الحقيقة الدينية القيام بأمره ونهيه ومحبة مايحبه وكراهة مايكرهه . وموالاة من والاه . ومعاداة من عاداه وأصل ذلك الحب فيه والبغض فيه . وحظ الحقيقة الكونية افراده بالافتقار اليه والاستعانة به والتوكل عليه والالتجاء اليه وإفراده بالسؤال والطلب والتذلل والخضوع والتحقق بأنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ولايملك أحدسواه لهم ضرا ولانفعا ولاموتا ولاحياة ولانشورا . وأنه مقلب القلوب فقلوبهم ونواصيهم بيده وأنه مامن قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابعه إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه ازاغه فلهذه الحقيقة عبودية ولهذه الحقيقة عبودية ولاتبطل احداهما الأخرى بل لاتتم إلابها ولاتتم العبودية إلابمجموعهما . وهذا حقيقة قوله «إياك نعبد وإياك نستعين» اه ملخصا بتصرف وزيادة

(الفناء في الحضرة النبوية)

وقد يقع الفناء في الحضرة النبوية على الوجه اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم فيعرض فيه للكمل وأهل الولاية والجذب الذين يفنون في محبته صلى الله عليه وسلم مايعرض لاهل الفناء في الله تعالى وإن كان هذا في واد وذاك في واد ولذلك

نصوا على أن رؤيته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته يقظة ليست موضع ضبط الرائى ولا وثوق بما يقع فيها لأنها لا تقع لصاحبها الا وهو متفان فى ذاته صلى الله عليه وسلم فليست كالرؤية اليقظية المعتادة بل هى حالة برزخية وجامعة روحية بين يقظة الحس ونومه . ولذلك قد يمر مثاله صلى الله عليه وسلم بين يدى الرائى أو يتحدث معه والناس حاضرون لا يرونه ولا يسمعون كلامه فلا بد للوثوق بما يؤخذ عنه صلى الله عليه وسلم فى هذه الحالة بعد وفاته أو حال غيبته من عرضه على الميزان كما سيأتى بيانه وبالتأمل فى هذا البيان القويم والقسطاس المستقيم الذى أشار اليه صاحب المدارج والمنازل وكثير من السادة الصوفية يمكنك أن تزن ما يعزى لبعض القوم من الأقاويل والدعاوى لتعرف ما هو مقبول منه وما هو مردود وقد اتفقوا على أن مجاهدات السادة الصوفية وآثارها الكونية والأمرية يجب أن تكون تابعة للأحكام الشرعية وأن لا تخرج عن حقيقة إياك نعبد وإياك نستعين التى تضمنتها دائرة أم الكتاب المصدرة بالثناء على رب الأرباب الملك الوهاب المختومة بطلب الهداية الشاملة لهداية الخاصة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهداية العامة الذين أنعم الله عليهم بالاندراج فى سلك عباده المؤمنين كما يشير اليه قوله تعالى « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وهداية الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والعلماء الوارثين لا يؤخذ بها إلا إذا كانت راجعة إلى هداية الكتاب والسنة المروية عنه صلى الله عليه وسلم حال حياته رواية صحيحة يعتد بها ويعول عليها هذا هو الميزان فى أحكام الدين وأوضاعه ليقوم الناس بالقسط وليس فى الأمر جزاف بل كل شىء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال

(الكلام فى الصلاة الفتحية)

ولنعد إلى ما نحن بصدده من الكلام على الصلاة الفتحية وقول التجانية إنها

من كلام الله القديم وأن ثوابها المقدر لتاليها عندهم مشروط باعتقاد أنها من كلام الله و بالاذن من الشيوخ المتأهلين فنقول ان الصلاة الفتحية كما ذكره العلماء فى كتب الأدعية والأوراد هى اللهم صل وسلم و بارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم وفى رواية اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح الخ وتقدم فى التعريف بالشيخ التجانى وطريقته أن من أورادهم اللازمة صلاة الفاتح المنسوبة للسيد محمد البكرى الصديقى والبكريون بارك الله فيهم كثيرون وأشهرهم فضلا وعلما ومجاهدة وأسراراً وتأليفا وولاية وتربية جدنا فى النسب الروحانى سيدى مصطفى بن كمال الدين البكرى صاحب الطريقة البكرية الخلوتية المشهورة بمصر وغيرها ولد بدمشق الشام فى آخر المائة بعد الألف ثم رحل منها إلى مصر وأقام بها واشتهر شهرة لا نظير لها إلى أن توفى بداره قرب المشهد الحسينى سنة ١١٦٢ و بين الفقير و بينه رضى الله عنه خمسة آباء فقد تشرفت بتلقن الطريقة الخلوتية عن أبى المعارف سيدى أحمد بن شرقاوى الخلفى الجرجاوى وهو عن سيدى أحمد الخضيرى الطهطاوى وهو عن سيدى أحمد السكرى الطهطاوى وهو عن أبى البركات سيدى أحمد الدردير العدوى وهو عن علم هذه الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة سيدى محمد الحفناوى وهو عن العارف بالله تعالى سيدى مصطفى البكرى الصديقى إلى آخر هذا النسب الشريف الذى ينتهى إلى النبى صلى الله عليه وسلم كما ستأتى الاشارة اليه مع الفرق بين التلقين والعهد وكنت أعتقد قبل هذه النازلة أن صلاة الفاتح المنسوبة للقطب البكرى من تأليفات سيدى مصطفى البكرى الشهير بمصر الى أن رأيت فى كتب التجانية نسبتها إلى السيد محمد البكرى الصديقى كما تقدم فبحثت عن ذلك فى كتاب يدعى بيت الصديق فى تراجم السادة البكرية للمرحوم السيد محمد توفيق البكرى نقيب السادة الأشراف وشيخ مشايخ الطرق بالديار المصرية كما بحثت فى كتب التاريخ وفى مؤلفات سيدى مصطفى البكرى البالغة

نحو ٢٢٢ مؤلفا كما فى سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر فلم أعثر على نسبة الصلاة الفتحية اليه رضى الله عنه نعم يوجد بالمكتبة الأميرية شرح يسمى الفيوضات البكرية على صلاة السيد محمد زين العابدين بن محمد أبى الحسن بن محمد الصديقى المولود سنة ٩٣١ وتاريخ وفاته بالجمل « مات قطب العارفين » أولها اللهم صل وسلم على نورك الاسنى وسرك الأبهى الخ ثم رأيت فى شرح صلوات سيدى أحمد الدردير وتاريخ وفاته « رضى الله عنه » لتلميذه علما وطريقة مولانا الشيخ أحمد الصاوى المالكى وفيها عدة صلوات لأكابر القوم منها صلاة الفاتح ما نصه ثم شرع فى صيغة تسمى صلاة الفاتح تنسب لسيدى محمد البكرى وذكر أن من صلى بها مرة واحدة فى عمره لايدخل النار قال بعض سادات المغرب انها نزلت عليه فى صحيفة من الله وأن قراءتها مرة تعدل ثواب ست ختمات قرآنية وأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنى بذلك اه وهذا القول إن صح يجب تأويله وقال بعضهم المرة منها تعدل عشرة آلاف وقيل ستمائة ألف ومن داوم عليها أربعين يوما تاب الله عليه من جميع الذنوب ومن تلاها ألف مرة فى ليلة الخميس أو الجمعة أو الاثنين اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وتكون التلاوة بعد صلاة أربع ركعات يقرأ فى الاولى سورة القدر ثلاثا وفى الثانية الزلزلة كذلك وفى الثالثة الكافرون كذلك وفى الرابعة المعوذتين كذلك ويبخر عند التلاوة بعود وإن شئت جرب اه وسياتى تصفية هذا الكلام وبيان غثه من ثمينه ولعله أشار بقوله قال بعض سادات المغرب وقال بعضهم الخ إلى الشيخ التجانى وأتباعه وعلى كل حال سواء كانت منسوبة إلى سيدى محمد البكرى أو غيره فحكمها فى التلاوة والفضل العام الوارد فى أمثالها ليس موضع نزاع وإنما النزاع كما علمت فى أنها من كلام الله القديم أو من كلام من أنزلت عليه صحيفتها النورية ولم ينقل عن أحد من العلماء أنها ليست من تأليف القطب البكرى سوى الشيخ التجانى فيما رواه عنه تلميذه الأكبر الشيخ على حرازم وتبعه سائر التجانية فى ذلك

(الكلام فيما يفيده خبر الصحيفة البكرية)

والخبر الذى تلقاه الشيخ التجانى عن النبى صلى الله عليه وسلم يقظة على ما نقل عنه وهو أن صلاة الفاتح لم تكن من تأليف القطب البكرى الخ على تقدير صحته إنما يفيد أن القطب البكرى تلقى هذه الصيغة مكتوبة فى الصحيفة النورية وأن ذلك إجابة لدعوته أن يمنحه الله صلاة فيها كيت وكيت وسيأتى أن هذا ضرب من الأخذ عن الله تعالى وأنه عند القوم أدنى مراتب الالهام وأما كونه يفيد أن الصيغة الفتحية من كلام الله القديم فغير مسلم بل كل مايفيده أن تلك الكتابة من عند الله تعالى وأن صلاة الفاتح ليست من تأليف القطب البكرى وهذا كما يصدق بكونها مكتوبة بيد القدرة الالهية فى تلك الصحيفة بمعنى أن الله تعالى أظهر رسومها الكتابية فيها بقدرته بلا واسطة أصلا يصدق بكونها مكتوبة فيها بواسطة ملك من ملائكته أو روح من أرواح أهل صفوته أمره الله تعالى أن يكتبها فى تلك الصحيفة بعد أن ألقى فى روعه معناها على أن تكون ترجمتها من عنده أو بدون ترجمة حتى تصل إلى القطب البكرى فيترجمها عند نطقه بها ومايكتب بيد الله أو بيد ملائكته أو أهل صفته فكتابته من عند الله تعالى وذلك لايقتضي أن يكون المكتوب من كلام الله القديم بل يجوز أن يكون من قبيل الكلام الذى يخلقه الله فى الأشياء بدون أن يكون لها فيه ترتيب نفسانى أو استعداد طبيعى ككلام الضب والحجر والشجر وتسبيح الجماد على القول بأنه تسبيح حقيقى كما هو ظاهر قوله تعالى « وإن من شىء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم » فان هذا كلام من عند الله أى مخلوق بقدرته وإرادته وليس من تأليف أحد من خليقته ولا من كلام الله القديم لأنه لايلزم أن يكون صورة لكلماته الغيبية المترتبة بصفة كلامه النفسى الا بدليل نقلى يعول عليه كالقرآن اللفظى عند أهل السنة فانه لما ثبت نقلا وعقلا أنه كلام الله تعالى لزم أن يكون من كلامه القديم أى صورة لكلماته النفسية الغيبية أما عند المعتزلة

فلا يلزم ذلك بل لايجوز عندهم لأنكارهم الكلام القديم . أومن قبيل الكلام الصادر من سائر المخلوقات فانه مكتوب فى اللوح المحفوظ بيد القدرة الالهية بكيفية لايحيط بها الا الذى كتبه بيده أو يد ملائكته وليس من كلام الله القديم لان الكاتب كما يكتب كلام نفسه يكتب كلام غيره ولا دلالة للكتابة على أحدها إلا بنص يعول عليه على أنه لو كان مجرد الكتابة فى الصحائف يدل على أن المكتوب من كلام الله القديم وصحائف الأولياء كثيرة عند القوم لزم جواز نزول الاوامر التكليفية والاخبار الشرعية الدالة على الاحكام الاعتقادية على غير الانبياء مع أنهم نصوا على أن وحى التشريع لاينزل على غير نبي ولا على نبي بعد وفاته باتفاق أهل الظاهر والباطن وحينئذ لاتصح رواية الشيخ التجانى خبر الصحيفة عنه صلى الله عليه وسلم لا يقظة ولا مناما ولو فرض أن الشيخ التجانى لم يرو هذا الخبر أو رواه وكتمه عن أصحابه لما حصل علم لأحد من أتباعه أوغيرهم بأن الصلاة الفتحية ليست من تأليف القطب البكرى بل كانت تنسب اليه على أنها من تأليفه كسائر الصلوات المنسوبة لأكابر القوم مالم ينفوه بأنها ليست من تأليفه

(الملهم بالصحائف النورية يصح أن ينسب إلى النفوس البشرية)

وأنت اذا تأملت فيما يكتب فى الصحائف النورية النازلة على الأولياء فمع كونه من عند الله تعالى إذا تحققت علامته يصح أن يقال إنه من كلام البشر ألهم به من أنزلت عليه أوراقه بالهام كتابتها فان المخلوق من الله تعالى والملهم للولى فعلا إنما هو تلك الرسوم المكتوبة فى الورقة المنزلة عليه وأما الالفاظ المدلولة لتلك الرسوم فقد لاتكون مخلوقة لله تعالى فعلا حين خلق الكتابة وانزال أوراقها وإنما تخلق بعد أى يخلق علمها فى نفس الولى عند نظر رسومها وتخلق نفسها فى منطقه عند التلفظ بها فاذا صح هذا فالصيغة الفتحية التى طالعها القطب البكرى من الرسوم الدالة عليها ونطق بها مخلوقة لله كسائر الألفاظ التى يطالعها الانسان عند نظره فى رسوم الكتابة المدادية ثم ينطق بها فكما أن هذه تنسب إلى العبد

كذلك الصيغ المأخوذة من الرسوم المنقوشة فى الصحائف يصح نسبتها الى المتلفظ بها لأنه المترجم لتلك الرسوم ولكن لما كانت تلك الصيغ مستغنية عن التأليف النفسانى بالهام الرسوم المغنية عنه نسبت الى الله تعالى فيقال إنها من عند الله أو من كلامه خلقا أو كتابة لوجودها بالوجود الكتابى ولا يصح أن يقال إنها من كلام الله القديم أى صورة له إلا اذا ثبت بدليل نقلى يعول عليه أنها من كلام الله ومادام لم يثبت ذلك فتنسب الى الناطق بها والمترجم لها لوجودها فى نفسه عند نظره فى الصحيفة وفى منطقه عند التلفظ بها ولا غرابة فى ذلك فقد نسب الكلام إلى من صدر عنه بدون أن يكون فيه أهلية التأليف ككلام الكلب لأصحاب الكهف كرامة وكلام البقرة لمن حمل عليها فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها إذ التفتت البقرة اليه وقالت انى لم أخلق لهذا وإنما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تكلمت فقال النبي عليه السلام آمنت بهذا ومن هذا القبيل كلام أهل الشطح حال فنائهم عن الوجود كالحلاج وأبى يزيد فقد تكلموا حال فنائهم ونسب الكلام اليهم حتى أوخذوا به مع عدم شعورهم به وارادة النطق بلفظه ولم يقل أحد أن قول الحلاج (مافى الجبة الا الله) أى هذه الصيغة من كلام الله القديم والا لكانت أقاويل الشيخ التيجانى المنوه عنها فى التعريف ان صح صدورها عنه حال غيبته من كلام الله تعالى وذلك باطل بل هى منسوبة اليه ومن كلامه ولذا يؤاخذ عليها *

والحاصل ان الكلام الموجود فى عالم الصور على لسان أى ناطق من خليقته إنسا أو جنا أو ملكا أو حيوانا أو شجرا أو مدراً لا يعد من كلام الله القديم إلا إذا ثبت أنه من كلامه تعالى بدليل يعول عليه كما فى القرآن الكلام والكتب السماوية كالتوراة والانجيل فكيف يقال إن خبر الصحيفة يفيد أن صلاة الفاتح من كلام الله القديم وأنه يتعبد بتلاوتها وباعتقاد أنها من كلامه تعالى وقد نص العلماء قاطبة على أن كلام الله تعالى الذى يتعبد بتلاوته وباعتقاد

أنه كلام الله تعالى إنما هو القرآن فقط أما الصلاة الفتحية فلم يقل أحد انهـا كالقرآن فى ذلك نعم تعلق خطاب الله بطلب تلاوتها فى عموم قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه » وذلك لا يقتضى أن تكون من كلام الله القديم لتعلقه بسائر الصلوات الصادرة من الخلق مأثورة أو غير مأثورة وهذا مما لا نزاع فيه وإنما النزاع فى كونها مأثورة عن الله تعالى كالقرآن والأحاديث القدسية فالعلماء قاطبة على أنها غير مأثورة لا عن الله ولا عن النبى صلى الله عليه وسلم والتجانية يقولون إنها مأثورة عن الله تعالى مستندين فى ذلك لخبر الصحيفة النازلة على القطب البكرى فتكون من كلام الله القديم وقد علمت ما فيه وان ذلك لا يصلح مأخذ الهذا الحكم الاعتقادى الذى لابد فى ثبوته من مأخذ شرعى والخبر المذكور مع عدم الوثوق بروايته لا يصلح مأخذا لأحكام الله تعالى لا يقال إن الكتابة فى الصحائف النورية من قبيـل الكتابة فى النفوس البشرية والألواح السماوية ليست بحروف مادية ولا بليقة مدادية بل هى ألفاظ حكمية وصور كلامية قائمة بمحالها قيام الناعت بالمنعوت وعليه فتكون الصيغة الفتحية الظاهرة فى الصحيفة البكرية بمثابة مايرسم فى النفوس من الكلمات الخالية عن الحروف المادية والأصوات الهوائية تجلت فى صور الكتابة كما تتجلى المعانى والألفاظ فى الصور الشبحية يوم القيامة كالموت فى صورة الكبش والقرآن فى صورة الرجل الشاحب وحينئذ تكون موجودة فعلا بوجود كتابتها فى الصحيفة المذكورة على هذا الوجه وتكون من الكلام القديم لأنا نقول هب أنها بهذه المثابة فذلك لا يفيد أنها من كلامه تعالى كما علمت كيف وقد ورد أن أول ماخلق الله القلم ليكتب به سائر المقادير قبل كونها لا فرق بين ماثبت أنه من كلام الله تعالى كالقرآن والكتب السماوية وبين مالم يثبت كسائر كلام الخلق وكتابة القلم فى اللوح المحفوظ وسائر الألواح السماوية والصحف النورية من هذا القبيل

(القول بأن الصحائف النورية من عالم المثال)

وهذا البيان قريب مما قيل ان الصحائف النورية من عالم المثال أطلع الله تعالى

عليها القطب البكرى وأظهرها له اجابة لدعائه كما ذكره السائل وان كان المحققون من الحكماء والمتكلمين لا يقولون بثبوت هذا العالم لبنائه على شبه واهيـة ولكن كثيرا ما يخرج فرع مشهور على أصل ضعيف فهذه النازلة إذا صحت لا يبعد تخريجها على هذا المذهب المعزو الى الاشراقيين من الحكماء وقد ورد إن لله عوالم كثيرة لا يحصى عددها الا الله وما يعلم جنود ربك الا هو وعالم المثال كما ذكره الراغب فى السفينة نقلا عن شرح المقاصد عالم متوسط بين عالمى المحسوس والمعقول يسمى عالم المثال ليس فى تجرد المجردات ولا فى مخالطة الماديات وفيه لكل موجود من المجردات والأجسام والأعراض حتى الحركات والسكنات والأوضاع والهيئات والطعوم والروائح مثال قائم بذاته معلق لا فى مادة ومحل يظهر للحس بمعونة مظهر كالمرآة والخيال والماء والهواء ونحو ذلك وقد ينتقل من مظهر الى مظهر وقد يبطل كما اذا فسدت المرآة والخيال أو زالت المقابلة أو التخيل والقائلون بهذا العالم منهم من يدعى ثبوته بالمكاشفة والتجارب الصحيحة ومنهم من يحتج بأن ما يشاهد من تلك الصور الجزئية فى المرايا ونحوها ليست عـدما صرفا ولا من عالم الماديات وهو ظاهر ولا من عالم العقل لكونها ذوات مقـدار ولا مرتسمة فى الأجزاء الدماغية لامتناع ارتسام المصغر فى المكبر . ولما كانت الدعوى عالية والشبهة واهية لم يلتفت اليه المحققون أنظر تمامه فى السفينة وهى كتاب جليل جامع لعدة مسائل ورسائل فى فنون عدة جمعها من بنات أفكاره وتحقيقات أمثاله والراغب هذا هو الأستاذ البحاثة صاحب السعادة محمد باشا راغب الذى تولى وزارة مصر سنة ١١٥٨ وأقام واليا عليها الى آخر سنة ١١٦٢ أنظر ترجمته بصدر هذه السفينة وتأمل تطبيق النازلة على بيانه فان لم تطمئن اليه فحسبك مادونه وعلى كل حال فالصحيفة البكرية سواء صح أنها من عالم المثال أو من العالم الروحانى أو من عالم الحس فلا دلالة لخبرها على أنها من كلام الله القديم سواء أريد به الصفة الوحدانية القديمة او الكلمات الغيبية الأزلية أو الصورة اللفظية الكونية اذ لا يصح أن تكون

هذه الصيغة من كلام الله تعالى الا اذا ثبت ذلك من طريق صحيح كما علمت وتقدم. أن مجرد كون كتابتها من عند الله تعالى لا يقتضى كونها من كلام الله القديم. وسيأتى لهذا مزيد

(القول بأن الشيخ التجانى قد ألهم أن صلاة الفاتح من كلام الله القديم)

لا يقال ان الشيخ التجانى لم يستند فى قوله ان الصلاة الفتحية من كلام الله القديم الى خبر الصحيفة النورية باعتبار دلالته الوضعية الآلية حتى يتوجه اليه المنع بأنه لا دلالة فيه على ذلك بل قد ألهم من قبل الله أنها من كلام الله القديم عند تلقى هذا الخبر من الحضرة النبوية باعتبار دلالته الاشارية أو أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبره بذلك يقظة أو مناما عند ذلك أو فى حديث آخر لأنه به صلى الله عليه وسلم كما يدعى التجانية جامعة لم تكن لأحد من الأولياء لأنا نقول ان الالهام لغير الانبياء لا يفيد العلم عند أهل الحق ولا يثبت به حكم شرعى لان أحكام الله لا تثبت شريعة للأمة الا بالوحى المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم وذلك منحصر فى الكتاب والسنة وما يستنبط منهما على الوجه الذى كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون كما قال تعالى «وما كنا معذبين» أى ولا مثيبين «حتى نبعث رسولا» فلم يبق بعد نزول القرآن ووحى السنة وتفكير الأئمة لولى من الأولياء مهما كانت رتبته تشريع جديد وانما له التعريف من ذلك بالكشف والالهام فاذا اتفق لولى أنه ألهم حكما شرعيا عند نظره فى معانى الكتاب والسنة بالدلالة الاشارية المعتلية عن المدارك الآلية أو مجردا عن نظره فى ذلك سواء كان عن الله تعالى أو عن النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته يقظة أو مناما فلا بد من عرضه على الميزان العام فاذا خالف أصول الشريعة من كتاب أو سنة أو اجماع أو جلى قياس فلا يجوز العمل به مطلقا وان وافقه فالعمل بالميزان لا بالالهام كيف والالهام كالكشف حالة برزخية وجمعية روحية ليست موضع وثوق ولا ضبط لما يقع فيها كما علمت والتشريع العام الموروث عنه صلى الله عليه وسلم لا يعتمد

الاعلى اليقظة المحسوسة والأخذ من أصول الشريعة بالطرق المعروفة عند المتأهلين للنظر فى الكتاب والسنة بالوجوه المعتبرة فى الدلالة الوضعية الآلية . وسيأتى لهذا مزيد بيان فى مبحث المجتهد الصوفى والفرق بينه و بين المجتهد الاصولى

(القول فى إكمال الشريعة بالتبيان والبيان)

وقد أنزل الله تعالى الشريعة على رسوله صلى الله عليه وسلم وفيها بيان كل مايحتاج اليه الخلق فى تكاليفهم التى أمروابها وفى مصالحهم التى لابد لهم منها والنبي صلى الله عليه وسلم لم يفارق الدنيا حتى أكمل الله تعالى لعباده دينهم بالتبيان والبيان كاقال تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » وقال جل شأنه « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون » و إكماله جل شأنه كما فى روح المعانى وغيره إنما هو ببيان مايلزم بيانه من التفاصيل اللائقة بأوضاع الكتاب والسنة ومايستنبط منه غيره من التنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرع وقوانين الاجتهاد فيدخل فيه قياس المجتهد و إشارة النص ودلالته ومايستنبط منه من الأحكام والعقائد والحقائق والأسرار الالهية و بيان النبي صلى الله عليه وسلم فمن بعده من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين على طراز بيان كتابه وقد جاء فيه « مافرطنا فى الكتاب من شىء » والكتاب كلام الله كالعلم فى العموم يتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات الأأن تعلق الكلام تعلق دلالة وتعلق العلم تعلق انكشاف وفى الميزان لسيدى عبدالوهاب الشعرانى فى معنى قوله تعالى « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم » أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين للصحابة والصحابة بينوا للتابعين فمنهم من اجتهد فى المذاهب ومنهم من اجتهد فى جمع الأحاديث وكتبها ومنهم من اجتهد في حفظها ومنهم من اجتهد فى ضبط القرآن وحفظه ومنهم غير ذلك فالنبي ﷺ ناب عن الحق فى تفصيل ماأجمله تعالى فى كتابه العزيز وناب المجتهدون عن النبي صلى الله عليه وسلم وناب أتباعهم منابهم

فيما أجملوه من كلامهم وهكذا القول فى كلام أهل كل دور فيما أجمله الدور الذى قبله ولولا أن حقيقة هذا الاجمال سارية فى العالم ماشرحت الكتب ولاترجمت من لسان الى لسان ولنبينا صلى الله عليه وسلم المنة على المجتهدين ومقلديهم إلى يوم الدين باعطائهم المادة التى يستنبطون منها الأحكام وليس للمجتهدين منة عليه صلى الله عليه وسلم إنما لهم المنة على من قلدهم إلى يوم القيامة فلولا التابع ماظهر كمال المتبوع من الخلق فى كل دور بحسبه فافهم وكذلك لولا بيان الشارع ماأجمل فى القرآن بأحاديث شريعته لبقى القرآن على إجماله إلى وقتنا هذا وما كنا عرفنا كيفية تأدية الصلاة ولا الطهارة ولاعرفنا نواقض الوضوء ولاأنصبة الزكاة ولاشروطها ولاواجبات الصوم والحج ولامفسداتهما ولا كيفية العقود والمعاملات ولاغير ذلك مما هو معلوم ولولا بيان المجتهدين ماأجمل فى الشريعة لمقلديهم لبقيت السنة على اجمالها وهكذا الكلام فى كل دور بعدهم إلى يوم القيامة يفصل كل دور ماأجمل فى كلام من قبله اه وبالجملة فالتشريع المتفق عليه بين العلماء ما كان راجعا إلى بيان الكتاب والسنة بالدلالة الوضعية الآلية وهو ثلاثة أنواع تشريع النبوة حال حياته صلى الله عليه وسلم وتشريع الصحابة وتشريع الأئمة المجتهدين ومن نسج على منوالهم من العلماء الوارثين وكلها مالم ترجع فى بيانها إلى دلالة الكتاب والسنة لايعول عليها

(الكلام فى الدلالة الاشارية)

كما لايعول على الدلالة الاشارية المشار اليها فى حديث ابن عباس المشهور ان القرآن ذو شجون وفنون وظهور و بطون إلا بعد عرضها على الميزان العام وهى عند القوم اشارة الى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها و بين الظواهر المرادة لله تعالى فى كتابه ولنبيه صلى الله عليه وسلم فى سنته لأنها وان اشتمل القرآن عليها بلا مراء وكذلك السنة وإن كانت دون الكتاب فى ذلك فليست مقصودة ولا مرادة عند أهل الظاهر لأن التشريع والبيان إنما هو باعتبار

الدلالة الوضعية الآلية التى كان عليها عمل الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين فى استفادة أحكام الدين كما تقدم وقولهم ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر الخ إشارة إلى أنه لايعول على الدلالة الاشارية إلا بعد عرضها على الميزان العام وفيه رد على الملاحدة الباطنية الذين أخذوا بباطن القرآن وأهدروا جانب الظاهر بالكلية هدما للشريعة الاسلامية كالظاهرية الذين أخذوا بظاهر الكتاب والسنة وإن لم يكن مرادا وأهدروا جانب الباطن وان كان هو المراد فكلاهما طرف خارج عن المنهج القويم والقسطاس المستقيم الذى لايعول على ماسواه فى إقامة الدين كما قال تعالى « الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان » وهذا فى الدلالة الاشارية الخاصة بالكتاب والسنة فيما يتعلق بالأحكام الشرعيـة وأما الدلالة الاشارية العامة المتعلقة بآيات التكوين فهذه لاحد لها فان هناك أناسا يطالعون مافى عالم الملك والملكوت من لوح الهيكل الانسانى الذى جعله الله نظير العالم المحيط الأكبر معنى معنى وحرفا حرفا واليه يشير قوله تعالى « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ومن ذلك مايستطلعه بعض الناس من خطوط الأكف وأسارير الجباه وأشكال الحواجب والعيون وغير ذلك من الأسرار والآثار التى تضمنتها رسوم الألواح الكونية ورواها عالم الملك عن عالم الملكوت وهذا باب من العلم نسيناه وما كان ربك نسيا وميزان هـذه الدلالة الامكان العقلى أنظر كتاب المطالب القدسية لكاتب هذه السطور فان فيه من الفوائد فى هذا الباب مايشرح الصدور.

(الكلام فيما وراء الأحكام الشرعية مما يتعلق بالمجاهدات النفسية)

وأما ماوراء ذلك مما يتعلق بالمجاهدات النفسية وأطوارها وتفاوت أعمالها ومثوباتها وأسرارها وأذواقها ومواجيدها وكيفياتها التى تقع عليها فى الوجود الخارجى فالسادة الصوفية المختصون بطهارة النفوس وموهبة الكشف والالهام لهم فى ذلك القدح المعلى والحظ الوافر الأسمى ولغيرهم ممن لطف ذهنه واستقام فهمه نصيب مقدر لايبعد كثيرا عن هذا الخطر الأوفر والسنة الغراء قد فتحت لهم بابا واسعا

التكلم فى أسرار الأذكار والأوراد والأدعية والصلوات ونحوها من الرغائب والحمائد التى يتقرب بها المتقربون حتى يوافوا مقام المحبة المشار اليه فى حديث لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا وصلوا اليه فقد اتصلوا وفى الآية الشريفة «وإن لهم عندنا لزلفى وحسن مآب» وهذا المقام لا يورث إلا لمن قرع باب أحكام الشريعة وعمل بها على الوجه الأتم الأكمل كما يشير اليه حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم فالشريعة هي الأساس والمفتاح العام لسائر الناس والعمل بها على هذا الوجه هو المسمى عند القوم بالطريقة التى هى التصوف العملى فمن أراد الوصول إلى هذا المقام المحمود فليستمسك بها كما قال استاذنا رضى الله عنه فى مورده الرحمانى .

هذا وإن رمت الرضى والمغنما * فالزم طريق القوم كى تكفى الظما
واعلم بأن الرشد فى اقتفاها * ولمة الأسرار من سناها

كيف وهى دعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى «قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى» وهدايته القويمة كما قال جل شأنه «وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم» بها نطق القرآن وصح الخبر وتسلسل السند وتواتر الأثر وفى مشارق الأنوار القدسية وإياك أن تقول طريقة الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة فانها كلها أخلاق محمدية سداها ولحمتها منها اهـ وكما لا يقال ذلك لا يصح أن يقال إن لأهلها شريعة خاصة غير شريعة العامة التى جاء بها الكتاب والسنة كيف والتصوف معدود من العلوم الشرعية بل هو لبها ومكارم أخلاقها واختصاصه عن الفقه وأصوله وأصول الدين والتفسير والحديث إنما هو لاختلاف وجهة البحث والنظر وفى بلوغ السول فى مبحث بيان العلوم الدينية واختلاف النظر فيها ومن تأمل العلوم الدينية وهى الكلام والفقه والأصول والحديث والتفسير والأخلاق وعرف نسبة بعضها إلى بعض ووقف على مباحث كل منها عرف أن من فوائدها ما يشترك بينها ومنها ما يختص وإن كان النظر فيها مختلفا فان المتكلم إنما

ينظر فى الوجود ويقسمه إلى واجب وممكن والممكن إلى جوهر وعرض ثم يبحث عن الأحكام الشاملة لها والأحوال الخاصة بكل منها ثم يبين أن أصل الفعل فى العالم وأجزائه جائز عليه تعالى وأن بعثة الرسل من أفعاله الجائزة ثم يتكلم على السمعيات وما جاء فى اليوم الآخر مما لا يستقل العقل بادراكه ولا يقضى باستحالته والمفسر يأخذ من جملة مانظر فيه المتكلم وأثبته واحدا خاصا وهو الكتاب فينظر فى تفسيره والمحدث يأخذ واحدا خاصا وهو السنة فينظر فى طريق ثبوتها والفقيه يأخذ فعل المكلف فينظر فى نسبته إلى خطاب الشارع من حيث الوجوب وأخواته ويثبت الحكم للعموم ومداره على طلب ما يسقط الحرج والصوفى ينظر فيما يعرف به صلاح القلب وسائر الحواس ومداره على طلب الكمال وتصفية النفوس اه ولا ريب أن كل فريق من هؤلاء الباحثين فى تلك العلوم مكلف بأوامر الشريعة المحمدية وهى الأحكام التى جاء بها الكتاب والسنة المتعلقة بعقائدهم وأفعالهم وليس للخاصة منهم وراء ذلك تشريع خاص فكيف يصح أن يقال للعامة أحكام وللخاصة أحكام أخرى يمتازون بها عن الأحكام العامة لهم ولغيرهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم

(كلام ابن خلدون فى التصوف)

وفى مقدمة ابن خلدن علم التصوف من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عن سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية فاختصوا بمآخذ مدركة لهم لا يشاركهم فى ذلك إلا القليل لأن الغفلة عن هذا كأنها شاملة وغاية أهل

العبادات أنهم يأتون بالطاعات مخلصة وهؤلاء يبحثون عن نتائجها بالأذواق والمواجد ليطلعوا على أنها خالصة من التقصير أولا فظهر أن أصل طريقتهم كلها محاسبة النفس على الأفعال والتروك والكلام على هذه الأذواق والمواجدات التى تحصل عن المجاهدات ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات فى ألفاظ تدور بينهم إذ الأوضاع اللغوية إنما هى للمعانى المتعارفة فاذا عرض من المعانى ماهو غير متعارف اصطلحوا على التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذى ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهى الأحكام العامة فى العبادات والعادات والمعاملات وصنف مخصوص بالقوم فى القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام على الأذواق والمواجد العارضة فى طريقها وكيفية الترقى فيها من ذوق إلى ذوق وشرح الاصطلاحات التى تدور بينهم فى ذلك فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء فى الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة فى طريقهم ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالبا كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله فيدركون من حقائق الوجود مالا يدرك سواهم وكذا يدركون كثيرا من الواقعات قبل وقوعها والعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يخبرون عن شىء لم يؤمروا بالتكلم فيه بل يعدون مايقع لهم من ذلك محنة ويتعوذون منه إذا هاجمهم والصحابة رضى الله عنهم كانوا على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ لكنهم لم يقع لهم بها عناية وتبعهم على ذلك الكمل من أهل الطريقة وهذا الكشف لا يكون صحيحا كاملا إلا إذا كان ناشئا عن الاستقامة لأن الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة وان لم يكن هناك استقامة كالسحرة والنصارى وغيرهم من المرتاضين ومثاله أن المرآة إذا كانت محدبة أو مقعرة وحوذى بها جهة المرئى فانه يتشكل فيها معوجا

على غير صورته وان كانت مسطحة تشكل فيها المرئى صحيحا فالاستقامة للنفس كالانبساط للمرآة فيما ينطبع فيها من الأحوال اه باختصار وفى التعريفات التصوف مذهب كله جد فلا تخلطوه بشيء من الهزل وقيل تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية واخماد صفات البشرية ومجانبة الدعاوى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واستعمال ماهو أولى على السرمدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم وأصله التفرغ عن الدنيا وقيل الصبر تحت الأمر والنهى وقيل الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق والاياس مما فى أيدى الخلائق وقيل هو كمال الانسان بالاسلام والايمان والاحسان وقيل غير ذلك وقال أبو البركات سيدى احمد الدردير فى شرح خريدته وحد التصوف علما هو علم بأصول يعرف به صلاح القلب وسائر الحواس وعملا هو الأخذ بالأحوط من المأمورات واجتناب المنهيات والاقتصار على الضروريات من المباحات ويقال هو الجد فى السلوك إلى ملك الملوك ويقال هو حفظ الحواس ومراعاة الأنفاس والمعنى متقارب ثم قال واعلم أن التصوف بمعنى العمل هو الطريق اه فجميع ماقيل فى التصوف بمعنى العمل يقال فى الطريق

(الكلام فى الشريعة والحقيقة والطريقة)

وقد علمت الكلام فى الطريقة وأنها التصوف العملى وأما الشريعة فهى الاحكام التى وردت عن الشارع المعبر عنها بالدين ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم أتيتكم بشريعة بيضاء نقية لم يأت بها نبى قبلى ولو كان أخى موسى فى زمنى وسائر الأنبياء لم يسعهم إلا اتباع شريعتى وأما الحقيقة فقال شيخ الاسلام فى الفتوحات الالهية هى مشاهدة الربوبية بالقلب ويقال هى سر معنوى لاحد له ولا جهة وفى شرح الخريدة لأبى البركات سيدى أحمد الدردير العدوى وأما الحقيقة فهى أسرار الشريعة ونتيجة الطريقة فهى علوم ومعارف تحصل لقلوب السالكين بعد صفائها من كدرات الطباع البشرية وفى شرح ورد سحر للشرقاوى والفرق بين الطريقة

والشريعة والحقيقة أن الشريعة الاحكام الواردة عن الشارع والطريقة العمل بها والتأدب بآدابهـا والحقيقة ماينتجه ذلك العمل من الأوصاف القلبية والمعارف الربانية فالشريعة باب والطريقة آداب والحقيقة لباب والثلاثة متلازمة لأن الطريق إلى الله تعالى لها ظاهر و باطن فظاهرها الشريعة والطريقة و باطنها الحقيقة فبطون الحقيقة فى الشريعة والطريقة كبطون الزبد فى اللبن لا يظفر من اللبن بزبده بدون مخضه فالمراد من الثلاثة إقامة العبودية على الوجـه المراد من العباد اه ويقال لعلم الحقيقة علم الباطن وعلم القلب والعلم اللدنى وعلم المكاشفة وعلم الأسرار والعلم المكنون والعلم الربانى وهو علم الوراثة المشار اليه بحديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم

(علم الحقيقة لا يخالف علم الشريعة والطريقة)

إذا علمت هذا فعلم الباطن لا يخالف علم الظاهر فلا يحلل مايحرمه ولا يحرم مايحلله كما يزعمه كثير من الجهلة كيف وهو نتيجة الشريعة والطريقـة ونتيجة الشىء لا تخالفه ولا حجة لهم فى قصة الخضر مع موسى عليه السلام سواء كان وليا أو نبيا لأنه ان كان نبيا فقد فعل مافعل إما لأمره بابتناء الحكم على بواطن الاشياء وحقائق الأمور واما لالهامه بذلك والالهام كان حجة فى زمنه وموسى عليه السلام مأمور باتباع الظاهر « ولـكل جعلنا منكم شرعـة ومنهاجا » وفى صحيح البخارى قال الخضر ياموسى إنى على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه اه وأما شريعة نبينا عليه الصلاة والسلام فليس معها ولا بعدها شريعة أخرى لا لولى ولا لنبي كما قال تعالى « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولـكن رسول الله وخاتم النبيين » فليس لأحد بعـده تشريع جديد وإنمـا لهم البيان والتعريف لما أجمل فى طى شريعته من كتاب أوسنة بل ولاله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته تشريع مستقل خاصا أوعاما وان كان له الامداد الكلى فيما وراء ذلك وله فى ذلك التعريف الأوفى والبيان الأكمل لأن الله قد أكمل دين عباده قبل وفاته بنزول كتابه تبيانا لـكل شىء و بوحى السنة وتفكير الأئمة فيما أوحى اليه من لدن

عصر الصحابة إلى ماشاء الله أن يكون لهم من البيان والتعريف كما قال تعالى «ما فرطنا فى الكتاب من شيء» «وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرن» أى فى الذكر و بيانه «وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا» وفى احياء الغزالى من قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الايمان اه وقال السرى السقطى من ادعى باطن علم ينقضه ظاهر حكم فهو غالط وقال النووى من رأيته يدعى مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربن منه فانه مبتدع وقال أبو يزيد البسطامى لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به حتي تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة وقال النصراباذى أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الاهواء والبدع وقال الجنيد مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال اذا رأيتم الرجل يمشى على الماء و يطير فى الهواء فلا تلتفتوا اليه فان الشيطان يطير من المشرق إلى المغرب و يمشى على الماء ولكن انظروا فى اتباعه الكتاب والسنة فان الشيطان لايقدر على ذلك أبدا وقال الغزالى من زعم أن له مع الله حالا أسقط عنه نحو الصلاة أو تحريم شرب الخمر وجب قتله وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر اذا كان ضرره أكثر وقيل للجنيد ان جماعة يزعمون أنهم يصلون الى حالة يسقط عنهم التكليف بها قال وصلوا ولكن الى سقر ومن يقول بالاباحة والسرقة والزنا عندنا أهون حالا ممن يقول بهذه المقالة وأما القائل بسقوط التكليف المعتقد له فقد انسل من الدين كانسلال الشعرة من العجين * وبالجملة فما ثم حقيقة تخالف شريعة أصلا وكثير من جهلة المتصوفة يطلقون على علم الشريعة القشر تحقيرا له وعلى علم التصوف اللب تعظيما له وأنت تعلم أن امتهان علم الشريعة كفر ومنهم من يطلق عليه ذلك غير قاصد تحقيره بل باعتبار أنه يصون عن الزيغ كما يصون القشر لبه أو باعتبار أنه يحفظ الحقيقة كما يحفظ القشر اللب فهذا لايسلم من سوء الأدب حيث أطلق على علم المرسلين

مايشعر بالذم كما أن كثيرا من أهل الجمود من الفقهاء من انتدب للرد على متأخرى الصوفية وشمل بالنكير سائر ماوقع لهم فى الطريقة المحمدية

(كلام ابن القيم فى تقييد التصوف بالكتاب والسنة)

قال فى مدارج السالكين ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة العلم وهذه المنزلة إن لم تصحب السالك من أول قدم يضعه فى الطريق إلى آخر قدم ينتهى إليه فسلوكه على غير طريق وهو مقطوع عليه طريق الوصول مسدود عليه سبيل الهدى والفلاح مغلقة عنه أبوابها وهذا اجماع من الشيوخ العارفين ولم ينه عن العلم إلا قطاع الطريق منهم ونواب ابليس وشرطه قال سيد الطائفة وشيخهم الجنيد محمد رحمه الله الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى آثار الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة وقال أبو عمر بن الجنيد كل حال لا يكون عن نتيجة علم فان ضرره على صاحبه أكثر من نفعه وقال التصوف الصبر تحت الأوامر والنواهى وأما الكلمات التى تروى عن بعضهم من التزهيد فى العلم والاستغناء عنه كقول من قال نحن نأخذ علمنا من الحى الذى لا يموت وأنتم تأخذونه من حى يموت وقول الآخر وقد قيل له لا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق فقال مايصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الخلاق وقول الآخر العلم حجاب بين القلب وبين الله عز وجل وقول الآخر إذا رأيت الصوفى يشتغل بأخبرنا وحدثنا فاغسل يديك منه ونحو هذا من الكلمات التى أحسن أحوال قائلها أن يكون جاهلا يعذر بجهله أو شاطحا معترفا بشطحه وإلا فلولا عبد الرزاق وأمثاله ولولا أخبرنا وحدثنا لما وصل إلى هذا وأمثاله شىء من الاسلام ومن أحالك على غير أخبرنا وحدثنا فقد أحالك على خيال صوفى أو قياس فلسفى أو رأى نفسى فليس بعد القرآن وأخبرنا وحدثنا إلا شبهات المتكلمين وآراء المنحرفين وخيالات المتصوفين وقياس المتفلسفين ومن فارق الدليل ضل عن سواء السبيل ولا دليل إلى الله والجنة سوى الكتاب

والسنة وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة فهي من طرق الجحيم والشيطان الرجيم والعلم ما قام عليه الدليل والنافع منه ما جاء به الرسول والعلم خير من الحال العلم حاكم والحال محكوم عليه العلم هاد والحال تابع العلم آمر ناه والحال منفذ قابل والحال سيف ان لم يصحبه علم فهو مخراق في يد لاعب والحال كالمال يؤتاه البر والفاجر فان لم يصحبه نور العلم كان وبالا على صاحبه الحال بلا علم كالسلطان الذي لا يزعه عن سطوته وازع

(قصة الخضر مع موسى)

وأما قصة موسى مع الخضر عليهما السلام فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني إلحاد وكفر مخرج عن الاسلام موجب لاراقة الدم والفرق ان موسى لم يكن مبعوثا إلى الخضر ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته ولو كان مأمورا بها لوجب عليه أن يهاجر إلى موسى ويكون معه ولهذا قال له أنت موسى نبي بني اسرائيل قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى جميع الثقلين فرسالته عامة للجن والانس في كل زمان ولو كان موسى وعيسى عليهما السلام حيين لكانا من أتباعه وإذا نزل عيسى بن مريم عليهما السلام فانما يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فمن ادعى أنه مع محمد صلى الله عليه وسلم كالخضر مع موسى أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه وليتشهد شهادة الحق فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن أن يكون من خاصة أولياء الله وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه وهذا الموضع مقطع ومفرق بين زنادقة القوم وبين أهل الاستقامة منهم فحرك تره والعلم اللدني إنما هو ثمرة العبودية والمتابعة والصدق مع الله والاخلاص له وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله من كتابه وسنته وكمال الانقياد له فيفتح له من فهم الكتاب والسنة أمر يخصه به كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه. فهذا هو العلم اللدني الحقيقي وأما علم من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتقيد بهما فهو من لدن النفس والشيطان فهو لدني لكن

من لدن من وإنما يعرف كون العلم لدنيا رحمانيا بموافقته لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل فالعلم اللدنى نوعان لدني رحمانى ولدنى شيطانى بطناوى والمحك هو الوحى ولا وحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أشار إلى طريقة أسلم للمريدين وأقرب وصولا للسالكين حيث قال وملاك ذلك كله أمران أحدهما أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتسكنه فى وطن الآخرة ثم تقبل به كله على معانى القرآن واستجلابها وتدبرها وفهم مايراد منه وما نزل لأجله وتأخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته وتنزلها على داء قلبك فهذه طريق مختصرة قريبة سهلة موصلة إلى الرفيق الأعلى آمنة لا يلحق سالكها خوف ولا عطب ولا جوع ولا عطش ولا فيها آفة من آفات سائر الطريق ألبتة وعليها من الله حارس وحافظ يكلأ السالكين فيها ويحميهم ويدفع عنهم ولا يعرف قدر هذه الطريق إلا من عرف طرق الناس وغوائلها وقطاعها والله المستعان

(القول فى مواضع الكلام مع الصوفية)

والحق أن الكلام مع القوم فيه تفصيل فان كلامهم فى أربعة مواضع أحدها الكلام فى المجاهدات وما يحصل من الأذواق ومحاسبة النفس ثانيها الكلام فى الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب ثالثها التصرفات فى العوالم بأنواع الكرامات رابعها ألفاظ موهمة الظاهر يعبرون عنها بالشطحات ونحوها فأما الكلام فى المجاهدات وما يحصل من الأذواق فهو أمر لا مدفع فيه لأحد والتحقق به هو عين السعادة إذا تقيد بالعلم وأحكام الدين كما تقدم وأما الكلام فى الكشف والحقائق فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه لما أنه وجدانى وفاقد الوجدان بمعزل عن أذواقهم فيه فليس الدليل والبرهان بنافع معه ردا وقبولا فان اللغات لا تعطى دلالة على مرادهم فينبغى أن لا نتعرض لكلامهم فى ذلك ونتركه فيما تركناه من المتشابه ما لم يكن مضلة أو ذريعة لما لا يحمد ومن رزقه الله فهم شىء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكرم بها سعادة وأما الكلام فى كراماتهم وإخبارهم

بالمغيبات فصحيح مشاهد الوقوع فانكاره مكابرة وقد وقع للصحابة وأكابر السلف كثير من ذلك وفى جوهرة التوحيد للامام اللقانى

وأثبتن للاوليا الكرامه * ومن نفاها أنبذن كلامه

وأما الالفاظ الموهمة المعبر عنها بالشطحات فالانصاف فى شأن القوم انهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور فمن علم فضله منهم حمل كلامه على القصد الجميل كما وقع لأبى يزيد وأمثاله وتقدم أن عذره إنما هو بالنسبة لدار الآخرة وأما فى الدنيا فلا بد من مؤاخذته حسب هفوته والظاهر انه إن عظمت هفوته كشطح الحلاج وأبى يزيد ينبغى مؤاخذته نصحا فى الدين وإلا فعفو ومن لم يعلم فضله ولم يشتهر بصحة الحال فمؤاخذ بما يصدر عنه من ذلك مطلقا إذ لم يثبت لنا ما يحملنا على تأويل كلامه كمن تكلم بها وهو حاضر فى صحوه وقد تكفل كثير من الأشياخ بتأويل ما أشكل من كلمات القوم ومنهم أبو المواهب الشعرانى فى اليواقيت والجواهر وفى الأجوبة المرضية عما نسب للأئمة الصوفية وكان شيخ الاسلام المخزومى يقول لايجوز لأحد من العلماء الانكار على الصوفية إلا إن سلك طريقهم ورأى أفعالهم وأقوالهم مخالفة للكتاب والسنة وأما بالاشاعة فلا يجوز الانكار عليهم وكتب العلامة ابن حجر فى شرحه لقول المنهاج (الردة قطع الاسلام بنية أو قول كفر) أى عن قصد وروية فلا أثر لسبق لسان أو إكراه أو حكاية كفر أو شطح ولى فى غيبته أو تأويله بما هو مصطلح عليه بينهم وإن جهله غيرهم إذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة عند أهله فلا يعترض عليه بمخالفته لاصطلاح غيره كما حققه أئمة الكلام وغيرهم ومن ثم زل كثيرون فى التهور على محققى الصوفية بما هم بريئون منه رزقنا الله الأدب معهم بمنه وكرمه ونفعنا بهم أجمعين أنظر مطية السالك فى آداب الطريق للعلامة الشيخ أحمد الطاهر الحامدى عليه سحائب الرحمة والرضوان فانها من أجل الكتب فى هذا الباب وقد من الله تعالى على الاخوان بطبعها سنة ١٣٠٧ بهامش

كتابه شرح الكشف الربانى عن المورد الرحمانى وهو شرح جليل على أرجوزة أبى المعارف سيدنا وأستاذنا الشيخ احمد بن شرقاوى الموسومة بالمورد الرحمانى والمشرب الأحلى للظمآن فى علمى التوحيد والتصوف نفعنا الله ببركاتهم وأمدنا بنفحاتهم ونفحات آبائهم وأجدادهم ولنا على هذه الارجوزة شرح واسع يدعى روح المعانى والفتح الصمدانى على المورد الرحمانى تم تعليقه فى حدود سنة ١٣٠٩ ونحن فى الفسحة الرجبية بالصعيد تحت رعاية صاحب المورد بمنزله بدير السعادة عليه سحائب الرحمة والرضوان ونسأل الله جل شأنه أن يوفقنا لطبعه ونشره .

(بيان الداعى لاطالة المنهج بمثل هذه المباحث)

وإنما أطلنا المنهج بذكر هذه المباحث التى قد يظن الناظر فيها أنها ليست من موضوعه أولا لاشتمال مقدمة السؤال على نصوص من كلام التجانية وغيرهم تحتاج إلى النظر فيها والبحث فى معانيها ولقول السائل فى صدر المقال فنطلب من فضلكم عملا بمقتضى واجبكم الدينى أن تطالعوا كتب القوم الخ وليكون القارىء على بينة من الصلة التامة بين علوم الشريعة والطريقة والحقيقة وليعلم أن اختصاص أهل الشريعة بالبحث فى الأحكام الشرعية وتحديد أعمالها وعقائدها واختصاص أهل التصوف بالبحث فى الكلام على المجاهدات النفسية وعلومها لا يوجب المباينة بينها بل هو مما يقوى تلك الصلة ولذا قيل حقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة وكان شيخ الاسلام زكريا الأنصارى رضى الله عنه يقول الفقيه إذا لم يكن له إلمام بطريق القوم وملاحظهم واصطلاحاتهم ومآخذهم فهو جاف ولذلك عدم أهل الجدال من الفقهاء والعباد الترقى فى درجات الأولياء وجمدوا على ما فهموا من ظواهر النقول ولم يتعدوا إلى ما وضعه الشارع فى طيها من الزواجر والتوادع فلم يزدادوا بكثرة العلم زهدا فى الدنيا وإقبالا على ربهم وفى الحديث (من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا) وبذلك تعلم أن الخاصة والعامة سواء فيما يختص بتشريع الأحكام وأن كل مادون فى الكتب ونشر فى

الصحف من المطاعن والمثالب على أهل الطريق إنما هو فى أقوام ليسوا من أهل الطريقة والحقيقة ولا من أهل الشريعة فى شىء ورابعا ليكون الناظر فى المنهج على بصيرة فى فهم ماتضمنه السؤال عن صلاة الفاتح وفى حكم ماشتمل عليه التعريف بالشيخ التجانى وطريقته حتى إذا حكم فيه بشىء فانما يحكم عن بينة وانصاف واتفاق بين أهل الشريعة والحقيقة ولما لهذه المباحث من الارتباط بما يتعلق بخبر الصلاة الفتحية الذى استند اليه أهل الطريقة التجانية حيث قالوا فى كتبهم إن الشيخ التجانى تلقى عن النبى صلى الله عليه وسلم يقظة أنها من كلام الله القديم

(القول فى العمل بخبره صلى الله عليه وسلم بعد وفاته)

ومن هذه المباحث وماقدمناه تعلم أيضا مافى جواهر المعانى صحيفة ٩٩ نقلا عن الشيخ التجانى حيث قال وسألته رضى الله عنه هل خبر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بعد موته كحياته سواء فأجاب رضى الله عنه بما نصه قال الأمر العام الذى كان يأتيه عاما للأمة طوى بساطه بموته صلى الله عليه وسلم وبقى الأمر الخاص الذى كان يلقيه للخاص فان ذلك فى حياته وبعد مماته دائم لاينقطع ثم بين ذلك بعد أسطر بقوله رضى الله عنه لأنه كان صلى الله عليه وسلم يلقى الأحكام العامة للعامة فى حياته يعنى إذا حرم شيئا حرمه على الجميع وإذا افترض شيئا افترضه على الجميع وهكذا سائر الأحكام الشرعية الظاهرة ومع ذلك كان صلى الله عليه وسلم يلقى الأحكام الخاصة للخاصة وكان يخص ببعض الأمور بعض الصحابة دون بعض وهو شائع ذائع فى أخباره صلى الله عليه وسلم فلما انتقل الى الدار الآخرة وهو كحياته صلى الله عليه وسلم فى الدنيا سواء صار يلقى الى أمته الأمر الخاص للخاص ولا مدخل للأمر العام للعام فانه انقطع بموته صلى الله عليه وسلم وبقى فيضه للأمر الخاص للخاص ومن توهم أنه صلى الله عليه وسلم انقطع جميع مدده على أمته بموته صلى الله عليه وسلم كسائر الأموات فقد

جهل رتبة النبي صلى الله عليه وسلم وأساء الأدب معه ويخشى عليه أن يموت كافراً إن لم يتب من هذا الاعتقاد اهـ فان ظاهره أن للخاصة تشريعا جديدا للأحكام بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لم يكن للعامة كما أن لهم تشريعا مستقلا حال حياته لا يشاركهم فيه عامة الأمة المحمدية وأن ذلك جار فى سائر الأحكام الشرعية سواء كان الحكم إيجابا أو ندبا أو تحريما أو كراهة أو إباحة كما يرشد اليه قوله وهكذا سائر الأحكام الخ ولكن تقدم أن أمره صلى الله عليه وسلم بحكم شرعى لا ينزل على أحد من أمته بعد وفاته وليس لولى أيا كان أن يتلقى عنه صلى الله عليه وسلم أو عن الله تعالى أو عن ملائكته يقظة أو مناما حكما شرعيا إلا على سبيل التعريف والبيان لما أجمل فى القرآن أو السنة ومع ذلك لا يجوز العمل به إلا بعد عرضه على الميزان العام وأما قوله ومن توهم أنه صلى الله عليه وسلم انقطع جميع مدده الخ فقد علمت ما فيه وأن المدد بتشريع الأحكام قد تكفل به بيان الكتاب والسنة حال حياته وكلاهما قد كمل قبل وفاته ولم يبق لأحد من الأمة من عصر الصحابة إلى يوم القيامة الا التعريف والبيان لما جاء به الكتاب والسنة وسيأتى له مزيد

(تلقين العهود للمريدين ليس فيه تخصيص الأمر بالخاصة)

ولعله أراد بالأمر الخاص الذى كان يلقنه صلى الله عليه وسلم لخاصة أمته حال حياته واستمر بعد وفاته ما كان من قبيل تلقين الأذكار والأوراد لبعض الأمة فقد روى الطبرانى والبزار وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقن بعض أصحابه كلمة التوحيد جماعة وفرادى فأما تلقينه الجماعة فقال شداد بن أوس رضى الله عنه كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل فيكم غريب يعنى من أهل الكتاب قلنا لا يارسول الله فأمر بغلق الباب وقال ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا لا إله إلا الله ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم إنك بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد

ثم قال صلى الله عليه وسلم ألا أبشروا فان الله قد غفر لكم وأما تلقينه صلى الله عليه وسلم لأصحابه فرادى فقد قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله دلنى على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى قال ياعلى عليك بمداومة ذكر الله عز وجل سرا وجهراً فقال على رضى الله عنه كل الناس ذاكرون وانما أريد أن تخصنى بشىء فقال صلى الله عليه وسلم مه ياعلى أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله ولو أن السموات السبع والأراضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة لرجحت لا إله إلا الله ثم قال ياعلى لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله ثم قال على رضى الله عنه كيف أذكر يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غمض عينيك واسمع منى لا إله إلا الله ثلاث مرات ثم قل أنت لا إله إلا الله ثلاث مرات وأنا أسمع ثم رفع صلى الله عليه وسلم رأسه ومد صوته وهو مغمض عينيه وقال لا إله إلا الله ثلاث مرات ثم إن عليا رفع رأسه ومد صوته وهو مغمض عينيه وقال لا إله إلا الله ثلاث مرات والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع وهـذا أصل سند القوم فى التلقين وأخذ العهود وفى أمره صلى الله عليه وسلم بغلق الباب إشارة و بشارة أما الأولى فهى أن الطريق مبنية على ستر الأحوال وأنه لا ينبغى أن يذكر كلامهم فى حضرة من لم يعتقد فيهم وأما الثانية فهى أن أهل الطريق من أخص خواصه ومن أهل رعايته واختصاصه انظر شمس التحقيق لأستاذنا أبى المعارف ومطية السالك لتلميذه الأكبر الشيخ أحمد الطاهر الحامدى إن أراد هـذا فظاهر أنه ليس من تخصيص الأمر بالخاصة فى شىء كما هو ظاهر وانما هو بيان لكيفية العمل بما تقرر حكمه فى الشريعة من الرغائب والحمائد التى قد يختار كيفية منها لواحد أو لجماعة ويختار غيرها لآخرين كما يراه أهل التربية فى إرشاد المريدين وتعليم العلوم للطالبين وتفهيم أسرارها للعاملين وذلك باب واسع يتفاوت فيه العالمون العاملون والمخلصون وليس فيه ولا فيما وقع منه صلى الله عليه وسلم لعلى أو غيره تخصيص للأمر الشرعى بقبيل دون

قبيل بحيث لا يطلب من غيرهم أن يفعلوه ولا يحظر على من سواهم أن يتعرفوه كيف وهو سند القوم فى تلقين العهود لعامة المسلمين المتأهلين للجهاد فى سبيل الله وهو من قسم المجاهدات التى تقع فى الوجود على أنحاء تختلف باختلاف أحوال السالكين وليس من تشريع الأحكام فى شىء وقد علمت أن الباقى للأولياء والعلماء وغيرهم فى الأخذ عنه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته يقظة أو مناما إنما هو التعريف والبيان لكيفية الأعمال المشروعة وتوقيعها على وجه لا يتنافى مع الأحكام الشرعية ولا مع كيفياتهـا التى نص الشارع على توقيع العمل عليها توقيعا لا يحتمل التغيير والتبديل ومثلها الأسرار والأحوال والمكاشفات الغيبية التى يطلع الله عليها من يشاء من عباده فانها كما تستمد منه صلى الله عليه وسلم حال حياته تستمد منه بعد وفاته بل قد تؤخذ عن بعض الصالحين حال حياتهم أو بعد وفاتهم كما ذكره القوم فى إرشاد الشيوخ وتربيتهم للمريدين حال سيرهم ومجاهداتهم فى الطريق الموصلة إلى الله جل شأنه وبذلك تعلم ما فى قوله ومن توهم أنه صلى الله عليه وسلم انقطع جميع مدده الخ لأن امداده صلى الله عليه وسلم لأمته بعد وفاته ليس لازما أن يكون بخصوص هذا التشريع بل ذلك بالنسبة لامداداته صلى الله عليه وسلم الشاملة لسائر المخلوقات نادر جدا

(الأحكام المبنية على هذا الأساس)

وقد بنى التجانية على هذا الأساس وهو العمل بخبر النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته أحكاما كثيرة منها القول بأن الصلاة الفتحية من كلام الله القديم وأن من تلاها ولم يعتقد ذلك فليس له ثوابها الخاص كما أخذوا تقدير هذا الثواب من خبره صلى الله عليه وسلم حيث رتبوه على اعتقاد أنها من كلام الله المأخوذ من هذا الخبر وزعموا أن من لم يعتقد ذلك فليس له هذا الثواب ومثل هذا لا يقال من قبل الرأى بل لابد له من سند نبوى أو كشف ربانى وكذلك الحكم بأفضليتها على سائر الصلوات والأذكار ربما فيها تلاوة القرآن وهكذا كل ما جاء عن الشيخ التجانى مما رواه عن

النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته من المآثر والخصائص التى نبهنا على نبذة منها فى التعريف أول المقال فان الشيخ التجانى وأتباعه يرون أنفسهم من الخاصة إذ لو كانوا يعتقدون أنهم من العامة لما كان ذلك من شريعتهم على أنه إلى الآن لم يعرف نوع الأمر الخاص الذى كان يلقيه صلى الله عليه وسلم لخاصة أمته حال حياته واستمر بعد وفاته حتى يحكم عليه بالخصوص أو العموم وقد تغالى أصحاب الشيخ التجانى فى التنويه بشأن الصلاة الفتحية حتى نقل الشيخ على حرازم عن شيخه فى جواهر المعانى صحيفة ٩٩ أنه قال إن صلاة الفاتح لما أغلق أفضل من وجوه جميع الأعمال والعبادات وجميع وجوه البر على العموم والاطلاق وجميع وجوه الشمول والامكان إلا ما كان من دائرة الاحاطة فقط فان ذكره أفضل منها بكثير دون غيره من الأعمال وأنت خبير بأن مثل هذا إن كان من الأمر الخاص الذى كان يلقى حال حياته واستمر بعد وفاته فليس من تشريع الأحكام الذى الكلام فيه وان كانت أفضلية الأعمال تابعة لأحكامها ولا يصح أن تقال من قبل الرأى بل لابد لها من إلهام أو كشف وكلاهما ليس قطعى الدلالة حتي يحتمل معه هذا الغلو الذى قد تعارضه النصوص وأراد بقوله إلا ما كان من دائرة الخ الاسم الأعظم كما بينه و بين فضله فى موضع آخر من هذا الكتاب ولعل التجانية يرون أن كل من دخل طريقتهم وتلقى العهد عن أى شيخ منهم يصير بمجرد ذلك من الخاصة مع أنك قد علمت أن جميع الطرق الآن بل وقبل الآن من عهد بعيد قائمة على الارشاد العام الذى يسمى بالتلقين كما تقدم وأن الارشاد الخاص وشيوخه ومريديه المنوه عنهم فى كتب القوم قد فقدوا من عهد بعيد ثم قال رحمه الله ربما يعترض بعض القاصرين ممن لا علم لهم بسعة الفضل والكرم فيقول إذا كان هذا كما ذكرتم فى صلاة الفاتح فينبغى أن يكون الاشتغال بها أولى من كل ذكر قلنا له بل تلاوة القرآن أولى لانها مطلوبة شرعا لأجل الفضل الذى ورد فيه ولكونه أساس الشريعة و بساط المعاملة الالهية ولما ورد فى تركه من الوعيد الشديد فلهذا لا يحل

لقارئه ترك تلاوته وأما فضل الصلاة التى نحن بصددها فانها من باب التخيير لا شيء على من تركها وثانيا إن هذا الباب ليس موضوعا للبحث والجدال بل هو من فضائل الاعمال وأنت خبير بما قاله العلماء فى فضائل الاعمال من عدم المناقشة فيها وقد أجاب سيدنا رضى الله عنه عن هذه المعارضة قائلا لامعارضة بين هذا وبين ما ورد من فضل القرآن والكلمة الشريفة لان فضل القرآن والكلمة الشريفة عام أريد به العموم وهذا خاص ولا معارضة بينهما لانه كان صلى الله عليه وسلم يلقى الاحكام العامة للعامة فى حياته إلى آخر ما قدمناه عنه وقد علمت ما فيه

(التنبيه على ما فى هذا الأساس)

وأنت خبير بأن هذا الأساس الذى بني عليه ماذكر مع ما فيه من الانظار السابقة قد يعارضه كثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى فى آية الاكمال « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » وفى آية الاحاطة والعموم « مافرطنا فى الكتاب من شيء » وآية البيان والتفكير « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » وآية عموم التبليغ « يا أيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك » وآية الهداية العامة « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » «ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين» فان من تأمل هذه الآيات وراجع بيانها من السنة وتفكير الأئمة عرف ما فى هذا الأساس وما بنى عليه من الأحكام والمتقين جمع متق من التقوى وهى لغة الصيانة مطلقا وشرعا صيانة المرء نفسه عما يضره فى الآخرة والأولى ومراتبها متعددة لتعدد مراتب الضرر فأولاها التوقى عن الشرك والثانية التجنب عن الكبائر ومنها الاصرار على الصغائر والثالثة ما أشير اليه فى حديث لايبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس وفى هذه المرتبة يعتبر ترك الصغائر وقد اختلفت عبارات الاكابر فى هذه المرتبة فقيل التقوى أن لايراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وقيل التبرى عن الحول والقوة وقيل التنزه عن كل

مايشغل السر عن الحق وفى هذا الميدان ترا كضت أرواح العاشقين وتفانت أشباح السالكين حتى قال قائلهم

ولو خطرت لى فى سواك إرادة * على خاطرى سهوا حكمت بردتى

وهداية الكتاب المبين شاملة لأرباب هذه المراتب أجمعين وأكملها هداية القوم العارفين «أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» فقد هيأ الله لهم أسباب السعادتين ومن عليهم بمصلحة الدارين وتقدم الكلام على إكمال الدين فى مبحث إكمال الشريعة وفى روح المعانى للعلامة الألوسى واستدل بآية التبليغ وما شاكلها على أنه صلى الله عليه وسلم أمر بتبليغ الثقلين كافة جميع ما أنزل إليه كائنا ما كان وقد فهم بعضهم أن المأمور به تبليغ الاحكام وما يتعلق بها من المصالح دون ما يشمل علم المجاهدات والأسرار أخذا من قوله سبحانه ما أنزل اليك دون ما تعرفنا به إليك وذكر أن علم الاسرار لم يكن منزلا بالوحى بل بطريق الالهام والمكاشفة وقيل يفهم ذلك من لفظ الرسالة فان الرسالة ما يرسل الى الغير وقد أطال بعض الصوفية قدس الله تعالى أسرارهم الكلام فى هذا المقام والتحقيق عندى أن جميع ما عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الأسرار الالهية وغيرها من الأحكام الشرعية قد اشتمل عليه القرآن المنزل فقد قال سبحانه «وأنزلنا اليك الكتاب تبيانا لكل شىء» وقال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شىء» وقال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الترمذى وغيره ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله تعالى فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم وحكم مافيكم وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن مسعود قال أنزل فى هذا القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شىء ولكن علمنا يقصر عما بين لنا فى القرآن وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه جميع ماحكم به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن ويؤيد ذلك مارواه الطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إنى لا أحل إلا ما أحل الله تعالى فى كتابه ولا أحرم إلا ماحرم

الله تعالى فى كتابه وقال المرسى جمع القرآن علوم الاولين والآخرين بحيث لم
يحط بها علما حقيقة إلا المتكلم به ثم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلا
ما استأثر به سبحانه ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة رضى الله تعالى
عنهم وأعلامهم مثل الخلفاء الاربعة ومثل ابن مسعود وابن عباس رضى الله تعالى
عنهما حتى قال لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى ثم ورث عنهم
التابعون باحسان ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا
عن كل ماحمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه فنوعوا علومه وقامت
كل طائفة بفن من فنونه وقال بعضهم مامن شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن
لمن فهمه الله تعالى حتى ان البعض استنبط عمر النبي ﷺ ثلاثا وستين سنة من
قوله سبحانه فى سورة المنافقين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها فانها رأس
ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن فى فقده بنفس ذلك النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم وهذا مما لايكاد ينتطح فيه كبشان فاذا ثبت أن جميع ذلك
فى القرآن كان تبليغ القرآن تبليغا له غاية مافى الباب أن التوقيف على تفصيل
ذلك سرا سرا وحكما حكما لم يثبت بصريح العبارة لكل أحد وكم من
سر وحكم نبهت عليهما الاشارة ولم تبينهما العبارة ومن زعم أن هناك أسرارا
خارجة عن كتاب الله تعالى تلقاها الصوفية من ربهم بأى وجه كان فقد أعظم
الفرية وجاء بالضلال ابن السبهلل بلامرية وقول بعضهم أخذتم علمكم ميتا عن
ميت ونحن أخذناه عن الحى الذى لا يموت لايدل على ذلك الزعم لجواز أن يكون
ذلك الأخذ من القرآن بواسطة فهم قدسى أعطاه الله تعالى لذلك الآخذ ويؤيد
هذا ما صح عن أبى جحيفة قال قلت لعلى كرم الله تعالى وجهه هل عندكم كتاب
خصكم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا إلا كتاب الله تعالى أو فهم أعطيه
رجل مسلم أو ما فى هذه الصحيفة وكانت متعلقة بقبضة سيفه قال قلت وما فى هذه
الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر ويفهم منه كما قال

القسطلانى جواز استخراج العالم من القرآن بفهمه مالم يكن منقولا عن المفسرين إذا وافق أصول الشريعة وماعند الصوفية على ماأقول كله من هذا القبيل إلا أن بعض كلماتهم مخالف ظاهرها لماجاءت به الشريعة الغراء لكنها مبنية على اصطلاحات فيما بينهم اذا علم المراد منها يرتفع الغبار وكونهم ملامين على تلك الاصلاحات اقول على كرم الله تعالى وجهه كما فى صحيح البخارى حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أو غير ملامين لوجود داع لهم إلى ذلك على مايقتضيه حسن الظن بهم بحثا آخر لسنا بصدده وقريب من خبر أبى جحيفة ما أخرجه ابن أبى حاتم عن عنترة قال كنت عند ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فجاءه رجل فقال إن ناسا يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئا لم يبده رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقال ألم تعلم أن الله تعالى قال « يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » والله ماورثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء فى بيضاء اه وعلى هذا التحقيق لم يبق لولى أو غيره من إنس أو جن بعد إنزال القرآن والسنة وتفكير الأئمة إلهام أو كشف بشيء جديد مستقل سواء كان من قبيل الأحكام أو من قبيل المجاهدات والأسرار نعم لهم التعريف والبيان لما أجمل فى كتاب الله الذى جاء فيه «مافرطنا فى الكتاب من شيء » وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة وأفكار الأئمة بيان له فالقول بأن للخاصة تشريعا جديدا يخالف تشريع العامة وأن هذا التشريع مستمر له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته قول لادليل عليه نعم أخذ الأولياء من معانى الكتاب والسنة بالدلالة الاشارية المصحوبة بالفيوض الالهية أمر لانزاع فيه ويجوز العمل به لأهله مالم يخالف نصا أو إجماعا أو جلى قياس وقد علمت أن فى الكتاب كل شيء ولكن علمنا يقصر عما بين لنا فيه وقد قيل إن الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربى قدس الله تعالى سره وقع يوما عن حماره فرضت رجله فجاؤا ليحملوه فقال أمهلونى فأمهلوه يسيرا ثم أذن لهم فحملوه فقيل له فى

ذلك فقال راجعت كتاب الله تعالى فوجدت خبر هذه الحادثة قد ذكر فى الفاتحة وهذا أمر لا نصل إليه عقولنا ومثله استخراج بعضهم من الفاتحة أسماء سلاطين آل عثمان وأحوالهم ومـدة سلطنتهم إلى ماشاء الله تعالى من الزمان ولابدع فهى أم الكتاب وتلك العجب العجاب أنظر تفسير الألوسى وقد علمت حكم العمل بالهام الصوفية سواء كان من دلالة الكتاب والسنة أو من مجرد الفيوض الالهية وأن الكلام معهم في مقامين مقام تشريع الأحكام وتحديد أعمالها و بيان أسبابها وشرائطها ومقام المجاهدات وأسرارها ولكل مقام مقال فمقام الأحكام وما يتعلق بها لاسبيل لثبوته والاعتداد به إلا من الشرع ومقام المجاهدات وما يترتب عليها من الأسرار والأذواق فسبيله أعم من ذلك فافهم وليس فى الأمر جزاف بل كل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال

(كلام الامام الشاطبي وابن السمعانى فى العمل بالفراسة والكشف والالهام والوحى النومى)

وفى موافقات الشاطبي أن الفراسة والكشف والالهام والوحي النومى عبارة عن معنى واحد وهى واردة فى السنة ولكن للعمل بمقتضاها شرط وهو أن هذه الامور لايصح أن تراعى وتعتبر إلا بشرط أن لاتخرم حكما شرعيا ولاقاعـدة دينية فان مايخرم ذلك ليس بحق فى نفسه بل هو إما خيال أو وهم و إما من إلقاء الشيطان وقد يخالطه ماهو حق وقـد لايخالطه وجميع ذلك لايصح اعتباره من جهة معارضته لمـا هو ثابت مشروع والواجب أن يعرض ماجاء عن الأئمة على الكتاب والسنة فما قبلاه قبلناه ومالم يقبلاه تركناه وماعلينا إذا قام لنا الدليل على اتباع الشرع ولم يقم لنا دليل على اتباع أقوال الصوفية وأعمالهم إلا بعـد عرضها و بذلك وصى شيوخهم وأن كل ماجاء به صاحب الوجد والذوق من الأحوال والعلوم والفهوم يعرض على الكتاب والسنة فان قبلاه صح و إلا لم يصح وكذلك مارسموه من الأعمال وأوجه المجاهدات وأنواع الالتزامات والصوفية هم المعروفون

باتباع الشريعة المقتدون بأفعال السلف الصالح المثابرون فى أقوالهم وأفعالهم على الاقتداء التام والفرار عما يخالف ذلك اه وقال ابن السمعانى وإنكار الالهام مردود ويجوز أن يفعل الله بعبده مايكرمه به ولكن التمييز بين الحق والباطل فى ذلك أن كل ماستقام على الشريعة المحمدية ولم يكن فى الكتاب والسنة مايرده فهو مقبول وإلا فمردود يقع من حديث النفس ووسوسة الشيطان ثم قال ونحن لاننكر أن الله تعالى يكرم عبده بزيادة نور منه يزداد به نظره ويقوى به رأيه وإنما ننكر أن يرجع إلى قلبه بقول لايعرف له أصل ولانزعم أنه حجة شرعية وإنما هو نور يختص الله به من يشاء من عباده فان وافق كان الشرع هو الحجة قال فى فتح البارى ويؤخذ من هذا ماتقدم التنبيه عليه من أن النائم لو رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام يأمره بشيء لابد من عرضه على الشرع الظاهر اه بل وكذلك إذا رآه فى اليقظة إذلافرق بين الرؤيتين بل قيل إن الرؤية المنامية أقوى من الرؤية اليقظية التى يدعيها بعض الصالحين فما قيل فى المنامية يقال فيها بالاولى قال فى فتح البارى وبالجملة فرؤيته عليه الصلاة والسلام يقظة أو مناما بعد موته لا اعتبار لها فى ثبوت الأحكام الشرعية بل لابد من الرجوع إلى ماأنزل عليه (ص) من وحى الكتاب والسنة حال حياته وفى فتح البارى فى تعريف الصحابى من كشف له من الأولياء فرآه صلى الله عليه وسلم على طريق الكرامة بعد موته لايعد صحابيا لأن حياته صلى الله عليه وسلم وإن كانت مستمرة ليست دنيوية وإنما هى أخروية برزخية لاتتعلق بها أحكام الدين لأن المراد الرؤيا المعهودة الجارية على العادة وهى الرؤية فى حياته فى الدنيا لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو المخبر عن الله وهو ما كان مخبرا عنه للناس فى الدنيا لافى القبر فدل كلامه على أن الاخبار الواقع منه صلى الله عليه وسلم فى القبر غير معتبر شرعا فما يروى من ذلك عن الأولياء حجة لم يقل به إلا المبتدعة انظر مشتهى الخارف الجانى للأستاذ الشيخ محمد الخضر الشنقيطى مفتى المالكية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل

الصلاة والسلام وقد علمت أن الكلام هنا فى مقام الأحكام الشرعية لافى مقام المجاهدات والأسرار الربانية ودخل فى ذلك جميع أنواع الالهام كالهام المعانى والهام الألفاظ والكتابة والاشارة وسائر مايفهم به الشىء من الدلائل ومنه كتابة صلاة الفاتح فى الصحيفة التى تلقاها القطب البكرى وتلقى الشيخ التجانى عن النبى صلى الله عليه وسلم يقظة بعد وفاته خبر هذه الصحيفة ومنه إلهامه أنها من كلام الله القديم سواء كان بدلالة هذا الخبر أو بخبر آخر يقظة أو مناما فكل ذلك غير مأمون ولا مضبوط إلا أن كونها من كلام الله القديم لابد من عرضه على الميزان العام فان وجد فيه مايوافقه فذاك وإلا فلايعمل به لأنه حكم اعتقادى نقلى كقولنا هذه السورة أو هذا الحديث القدسى من كلام الله القديم لابد فى إثباته من دليل شرعى يعول عليه كما لابد من البحث أيضا عن حكم اعتقاده عندهم هل هو واجب أو مندوب أو مباح لأن اعتقاد كون الصلاة الفتحية من كلام الله القديم مما يتعلق به خطاب الشارع بالاقتضاء أو التخيير كسائر أفعال المكلفين وهى مايمكن المكلف تحصيله وتتعلق به قدرته كالأكل والشرب والقيام والقعود والعلم والايمان كما قال تعالى « فاعلم أنه لا إله إلا الله » وقال جل شأنه « آمنوا بالله ورسوله » إذا علمت هذا فالصلاة الفتحية على زعم التجانية يتعلق بها ثلاثة أحكام الأول كونها من كلام الله القديم ومحل إثباته علم العقائد والتوحيد والثانى وجوب اعتقاد أنها من كلام الله القديم أو ندبه أو إباحته والثالث ندب تلاوتها أووجوبه ومحل بحث هذين الحكمين علم الفروع والظاهر أن التجانية الذين جعلوا الصلاة الفتحية من أورادهم اللازمة لايقصدون بذلك أن أصل تلاوتها واجب شرعا إذ لم يتعلق بها أمر شرعى كتابا أو سنة يفيد وجوبها ظنا أوقطعا وإنما أرادوا تأكد الذكر بها والتزام تلاوتها كسائر مايلقنه شيوخ الطريق لمريديهم حينما يأخذون عليهم العهد بالتزام أذكار وأوراد يختارونها من الرغائب والحمائد الشرعية حسبما يرونه صالحا فى تربية المريدين كل بحسب استعداده ومقدار

همته سواء كان مأثوراً عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن السلف أو غير مأثور نعم مثل هذا يقال له واجب نفسي يتأكد فعله عند هذه الطائفة تأكد الواجبات الشرعية ولذلك وسموا طريق القوم بأنها العمل بالأحكام الشرعية على الوجه الأتم الأكمل فلم يفرقوا بين واجب ومندوب فى تأكد عمله والاهتمام بشأنه

(الكلام فى الشيخ المرشد والفرق بين التلقين والعهد)

وشيخ الطريق الذى لابد للمريد من اتخاذه والعمل بارشاده والقوم يعدّونه ركنا من أركان الطريق هو العارف بالخواطر النفسية والشيطانية والملكية والربانية وبالاصل الذى تنبعث منه هذه الخواطر و بحركاتها الظاهرة و بما فيها من العلل والامراض الصارفة عن صحة الوصول إلى عين الحقيقة العارف بالأدوية وأعيانها وبالأزمنة التى يحمل المريد على استعمالها فيها و بالعوائق والعلائق الخارجة مثل الوالدين والأولاد والأهل والسلطان و بسياستهم وبجذبة المريد صاحب العلة من أيديهم وهذا كله إذا كان المريد له رغبة فى طريق القوم والسير على منهاجهم وإلا فلاينفعه شيخ ولاغيره كما ذكره القوم وظاهر أن هذا إنما هو فى الارشاد الخاص الذى يجب أن يكون الشيخ فيه على هذه الحالة والمريد على تمام الاستعداد لقبول كل مايؤخذ عليه ويوجه إليه من الأوراد والأذكار حسبما يراه شيخه ناجعا فى سيره للوصول إلى ربه وقد أصبح هذا بلا ريب أندر من الكبريت الاحمر بل قد عدم من قرون عديدة و إن عثر فيه على الشيخ فلا يعثر فيه على المريد فلم يبق إلا الارشاد العام الذى يرجع إلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهذا يشترك فيه سائر العلماء العارفين بمواضع الامر والنهى وطرق الدعوة إلى الله وهديه المستقيم وهو من أفضل الاعمال إذ هو الوراثة النبوية العامة و الهداية الربانية الشاملة فاذا قام به الشيوخ على الوجه المشروع علما وعملا كانوا من الكمل الوارثين ولهم من الاجر مثل ما للسالفين كما يشير إليه قوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » وقوله جل شأنه

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ومن هذا القبيل فريق الوعاظ من العلماء بل هم خيرة أهل الارشاد وخاصتهم إذا تخلقوا بأخلاق الله وسنة رسوله ﷺ وإلا فوعظهم وإرشادهم قليل الجدوى كما يشير اليه قوله تعالى « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » وذلك من العلماء عار وشنار كما قال شاعرهم

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ❊ عار عليك إذا فعلت عظيم

وإلى الفرق بين الارشاد العام والخاص أشار مولانا وولى نعمتنا أبو المعارف فى رسالته شمس التحقيق بعبارة أخرى حيث قال إعلم أن العهد لا يؤخذ إلا على أهل الصدق والرغبة التامة فى طريق القوم وأما غيرهم فله التلقين المجرد عن العهد فان العهد ميثاق وإلزام ولا يكون إلا لأهل الصدق التام اه والغرض من التلقين نقل العامة من المعاصى إلى الطاعات وأما عهد القوم المنوه عنه فى كتبهم فالمقصود منه نقل المريد فى مدارج الطاعات والترقى من الاحوال إلى المقامات وشتان ما بينهما

(بيان ما يحتاج إلى الميزان وما لا يحتاج)

وفى اليواقيت والجواهر نقلا عن الشيخ الأكبر أن ما جاء على لسان النبى صلى الله عليه وسلم لا يحتاج إلى ميزان لان الرسول هو الميزان المبين كما قال تعالى « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » وما جاء عن الله بطريق الالهام وجب علينا أخذه بالميزان فالأخذ من الرسول واجب على الاطلاق للأمن فيه من مكر الله والأخذ عن الله بالالهام واجب على التقييد لعدم الأمن من ذلك وقد أعطى رسوله صلى الله عليه وسلم الميزان الموضوع فمن أراد السلامة فلا يدع ذلك الميزان من بعده اه والأخذ عن الملائكة وعن أرواح الأنبياء بعد الموت كالأخذ عن الله تعالى فلا يسوغ لأحد وليا أوغيره أن يأخذ فى أحكام الدين مستقلا بالهام أو رأى لأن

نبوة التشريع قد انقطعت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لمن بعده من
الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والعلماء الوارثين التبليغ والبيان والاستنباط
من الكتاب والسنة كما يشير إليه قوله تعالى فى آية البيان «ولعلهم يتفكرون» وفى شرح
المواقف والالهام على تقدير ثبوته لا يأمن صاحبه أنه من الله فيكون حقا أو من غيره
فيكون باطلا إلا بعد النظر وان لم يقدر على تقريره وتحريره وفى شرح العقائد النسفية
والالهام ليس من أسباب العلم عند أهل الحق بحيث يعول عليه فى أحكام الدين
بطريق الاستقلال بل لابد معه من النظر فيما يثبت منها بالنظر كالعقائد التى يتوقف
اثباتها على النظر ومع ذلك لا يعتد به إلا إذا ورد من السمع وأما مالا يتوقف منها
على النظر كالسمعيات فطريق اثباته الشرع اه ومنه كون هذه الصلاة من كلام الله
القديم فانه ليس حكما عقليا يكفى فى اثباته النظر بل هو حكم نقلى يتوقف ثبوته على
السمع وفى اليواقيت والجواهر ان كشف الولى لا يتعدى كتاب نبيه وسننه أبدا
و بتقدير أن يأتينا بعلم من طريق كشفه لا يجوز لنا العمل به إلا بعد عرضه على
الكتاب والسنة وموافقته لهما وفيه أيضا نقلا عن الشيخ الأكبر أن غاية أمر
الأولياء أنهم يتعبدون بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم قبل الفتح و بعده ومتى
خرجوا عن شريعته هلكوا وانقطع عنهم الامداد فلا يمكنهم أن يستقلوا بالأخذ
عن الله أبدا اه وظاهر أن هذا فى الأحكام الشرعية اعتقادية أو عملية وأما غيرها
من أسرار التشريع والتكوين فقد يطلعهم الله تعالى ويعلمهم به بطريق الالهام
ولهم ولغيرهم أن يأخذوا به كما ذهب إليه السادة الصوفية وبالجملة فالأحكام الشرعية
لا سبيل لاثباتها على وجه يعتد به إلا من طريق النبوة والوحى صونا لأحكام الله عن
الخطأ بقدر المستطاع إذا علمت ذلك فلا نزاع فيما ذهب إليه السادة الصوفية
من أنه إذا حصل للانسان طهارة النفس وتزكية القلب وقطع العلائق الدنيوية
والاقبال على الله تعالى بالكلية انكشفت له القلوب ورأى الملائكة وسمع كلامهم
واطلع على أرواح الأنبياء والملائكة وإنما النزاع فى حكم ما يأخذه

عنهم هل يتبع فيه أولا تقدم الميزان فى ذلك كما لا نزاع فى أن القطب البكرى من أكابر الصوفية ومن أهل الكرامة والاختصاص ومن الكمل الذين صحت أحوالهم وصفت قلوبهم واشتهروا بالفضل والولاية

(الكلام فى نتائج المجاهدات وألقابها وشمول الوحى والالهام لجميع أنواعها)

وأخذ الكمل من الأولياء عن الحضرة النبوية وغيرها لدقائق المعانى والعلوم التى اصطلح القوم على تسمية أنواعها بألقاب لا يعرف الفرق بينها إلا من خصه الله بالعلم اللدنى أمر جائز وواقع كثيرا لهؤلاء السادة ولا يسع أحدا من المسلمين انكاره ومن جاهد فى الله حق جهاده وسار على الدرب وصل الى أبوابه وعرف علم الحقيقة وما اندرج تحت لوائه مما يلقبونه بالاسرار والانوار والفتوحات والمواهب والفيوضات والحقائق والدقائق والتجليات والمشاهدات والمكاشفات والمعارف والحضرات والمقامات والمنازل والواردات والاحوال وغيرها مما اصطلح عليه القوم فى هذا الباب وكل ذلك من نتائج المجاهدات النفسية التى هى العمل بالشريعة المحمدية على الوجه الاتم الاكمل وكشف ذلك تارة يكون بالغا المعانى فى قلوب الأصفياء مجردة عن القوالب اللفظية وتارة يكون فى قوالب لفظية أو رسوم كتابية أو أفعال اشارية فقد نقل العلامة الألوسى عن بعضهم أن الوحى كما يكون بالالقاء فى الروع يكون بالخط والكتابة وعن النخعى قال إنه كان فى الانبياء عليهم السلام من يخط له فى الارض ومعنى الوحى لغة يشمل ذلك فقد قال الامام أبو عبد الله التيمى الاصبهانى الوحى أصله التفهيم وكل ما فهم به شىء من الالهام والاشارة والكتابة فهو وحى وأضعف أنواع الالهام ما فهم بالكتابة وقال الراغب أصل الوحى الاشارة السريعة ولتضمنه السرعة قيل أمر وحى وذلك يكون بالكلام مع الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وباشارة ببعض الجوارح وبالكتابة وقد حمل على ذلك قوله تعالى « فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا » فقد قيل رمز وقيل كتب اه والوحى اللغوى شامل لجميع أنواع الالهام أما وحى النبوة

خاص بمعنى لا يوجد فى غير الانبياء عليهم السلام وهو المسمى بوحى التشريع الخاص بالأحكام الشرعية وذلك لا يكون للقطب البكرى ولا لغيره من الأولياء اذا علمت هذا فما فهم به الصيغة الفتحية من الكتابة فى الصحيفة النورية مع كونه لا يدل على أن هذه الصيغة المفهومة بالكتابة المذكورة من كلام الله تعالى لا يصح أن يقال انه ألهم بذلك لا للقطب البكرى ولا لغيره بل لابد فى ثبوته من وحى النبوة المسمى بوحى التشريع لان كونها من كلام الله تعالى حكم شرعى لا يثبت إلا بدليل خاص أو عام من كتاب أو سنة كما فى القرآن اللفظى فقد ثبت أنه من كلام الله تعالى بخبر من ثبت صدقه بالمعجزة الدالة على نبوته وباجماع الأمة على أن القرآن وكل جزء من أجزائه كلام الله وباعجازه وعدم قدرة الخلق على الاتيان بسورة من مثله وهذا مما اختص به القرآن من بين سائر كلامه تعالى من الكتب السماوية والأحاديث القدسية فانها ليست من النظم المعجز ولكنها من كلام الله الثابت بالكتاب والسنة وظاهر أن الصلاه الفتحية ليست من هذا ولاذاك وعلى فرض أنها من كلام الله القديم فهل يقال فيها ما قيل فى القرآن اللفظى من الاطلاقات الاسمية والأحكام الخلافية بتنزيلها منزلة القرآن كما قاله التجانية فى صدر المقال وللتنبيه على ذلك وإن طال به الكلام نقول

(ما يطلق عليه لفظ القرآن وما يتعلق به من الاحكام)

القرآن كما يطلق على الصفة القديمة الوحدانية القائمة بذاته تعالى باعتبار تعلقاتها وعلى الكلمات الغيبية الأزلية المترتبة فى علم الله تعالى بتلك الصفة يطلق حقيقة شرعية بل وعرفية ولغوية أيضا على صورها الكونية المتجددة التى هى مظاهر تلك الكلمات الغيبية المنزلة فى هذه المراتب الحادثة من غير حلول فيها ولا انفصال عن ذاته المقدسة وهذه الصور الكونية هى التى اطلق عليها لفظ القرآن علما شخصيا بدون التفات إلى تعددها بتعدد محالها أو علما جنسيا وقد دلت آيات التحدى وغيرها على انها كلام الله تعالى كما قال جل شأنه

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله »
ومع ذلك لا ينبغى أن يقال فيه إنه حادث أو مخلوق تحاشيا من الذهاب إلى معنى
القديم كما وقع لابن عباس رضي الله عنه فقد أخرج ابن مردويه عن طاوس
قال جاء رجل إلى ابن عباس من حضر موت فقال يابن عباس أخبرنى عن القرآن
الكلام أمن كلام الله تعالى أم خلق من خلقه سبحانه قال بل كلام من كلام الله
تعالى أوما سمعته سبحانه يقول « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى
يسمع كلام الله » فقال له الرجل أفرأيت قوله تعالى « إنا جعلناه قرآنا عربيا »
قال كتبه الله تعالى فى اللوح المحفوظ بالعربية أما سمعت الله يقول « بل هو
قرآن مجيد فى لوح محفوظ » اه يعنى فليس معنى جعلناه قرآنا خلقناه بل معناه
كتبناه فى اللوح المحفوظ برسوم عربية فالجعل متعلق بالرسوم الكتابية لا
بالألفاظ العربية ولك أن تفرض سؤال الحضرمى وجواب ابن عباس فى القرآن
النفسى حيث أعقبه بقوله الكلام وكلام الله إذا أطلق يراد به الكلام النفسى
القديم وسماعه بسماع الكلام اللفظى الدال عليه ولهذا قيل انه بهذا المعنى لا ينبغى
أن يقال فيه إنه غير مخلوق أو غير حادث لئلا يسبق الى الفهم أن المؤلف من الاصوات
والحروف قديم كما ذهب اليه الحنابلة بل ينبغى أن يقال القرآن كلام الله غير
مخلوق فيتبع فى التحديث عنه بكلام الله لتبادره فى القديم وتبادر القرآن فى الحادث
وان كان كل منهما أى من لفظ كلام الله ولفظ القرآن كما يطلق على القديم
يطلق على الحادث ففى شرح العقائد النسفية للعلامة التفتازانى قال ولما صرح
أى المصنف بأزلية الكلام حاول التنبيه على أن القرآن أيضا قد يطلق على هذا
الكلام النفسى القديم كما يطلق على النظم المتلو الحادث فقال والقرآن كلام الله
تعالى غير مخلوق عقب القرآن بكلام الله تعالى لما ذكره المشايخ من أنه يقال
القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ولا يقال القرآن غير مخلوق لئلا يسبق إلى الفهم
أن المؤلف من الاصوات والحروف قديم كما ذهب اليه الحنابلة وأقام غير مخلوق

حقام غير حادث تنبيها على اتحادهما وقصدا الى جرى الكلام على وفق الحديث
حيث قال صلى الله عليه وسلم القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ومن قال إنه
مخلوق فهو كافر بالله العظيم وتنصيصا على محل الخلاف بالعبارة المشهورة فيما بين
الفريقين وهو أن القرآن مخلوق أوغير مخلوق ولهذا تترجم المسألة بمسألة خلق
القرآن وتحقيق الخلاف بيننا وبينهم يرجع إلى اثبات الكلام النفسى ونفيه والا فنحن
لا نقول بقدم الالفاظ والحروف وهم لايقولون بحدوث الكلام النفسى ودليلنا
مامر أنه ثبت بالاجماع وتواتر النقل عن الانبياء صلوات الله عليهم أنه تعالى
متكلم ولامعنى له سوى أنه متصف بالكلام ويمتنع قيام اللفظى الحادث
بذاته تعالى فتعين النفسى القديم والقرآن الذى هو كلام الله تعالى القديم مكتوب
فى المصاحف لابذاته بل بأشكال الكتابة وصور الحروف الدالة عليه محفوظ
فى قلوبنا أى بالألفاظ المخيلة مقروء بألسنتنا أى بالحروف الملفوظة المسموعة
مسموع بآذاننا أيضا غير حال فيها أى مع ذلك ليس حالا فى المصاحف ولا فى القلوب
والالسنة والآذان بل هو معنى قديم قائم بذات الله تعالى يلفظ ويسمع بالنظم الدال
عليه ويحفظ بالنظم المخيل ويكتب بنقوش وصور وأشكال موضوعة للحروف
الدالة عليه والدليل على ثبوت صفة الكلام لله تعالى اجماع الامة وتواتر النقل عن
الانبياء عليهم السلام أنه تعالى متكلم مع القطع باستحالة التكلم من غير ثبوت صفة الكلام
فثبت أن الله تعالى متصف بصفة الكلام وأما كون القرآن كلام الله تعالى فقد
تقدمت أدلة ثبوته والصحائف النازلة على الاولياء التى هى ألواح جزئية كتب
الله فيها ماألهم به أولياءه برسوم خاصة يعرفها أهلها إذا قيل فيما كتب فيها أنه من
كلام الله القديم أومن كلام الله تعالى مطلقا وأنه بمنزلة القرآن أو بمنزلة الاحاديث
القدسية فلا بد من ثبوت ذلك بدليل شرعى يعول عليه لان الحكم الاعتقادى
المتعلق بذات الله تعالى وصفاته لخطورته لابد أن يثبت بدليل شرعى يعول عليه
حتى يعتد به عقيدة إسلامية وانظر كيف احتاط الشيوخ فى حماية كلام الله

القديم فنزهوه عن أن يقال كيت وكيت ووجهه بقولهم لئلا يسبق الفهم الخ فان في ذلك دلالة واضحة على خطر هذا المقام وأنه يجب تنزيه كلام الله القديم عن أن يدرج فيه كما قلنا مااشتهر أنه ليس منه بلا دليل فالصيغة الفتحية إذا قيل إنها من كلام الله القديم أومن كلامه تعالى لابد فيها من ذلك واذا عرض هذا الحكم على الميزان العام ولم يوجد نص من كتاب أوسنة أو إجماع يدل عليه لا يعتد به عقيدة بل لايصح القول به لما فيه من إثبات صفة لله تعالى لم يدل دليل على ثبوتها وذلك بخلاف الحكم الفرعى إذا عرض على الميزان العام ولم يوجد مايخالفه عقلا أونقلا يجوز للولى أن يعمل به فى خاصة نفسه ولا يجوز لغيره أن يقلده فيه كما تقدم وسيأتى له مزيد نظر هل يصح أن يقال فيما كتب فى هذه الصحائف ماقاله الحضرمى وابن عباس والمشائخ رضى الله عنهم فى القرآن وكلام الله بدون أن ينزل فى حقه مايدل على أنه من كلام الله الجواب لايصح شيء من هذا إلا بعد ثبوت أن هذا المكتوب من كلام الله تعالى بدليل يعول عليه من كتاب أوسنة أوإجماع كما تقدم

(الكلام فى رواية خبر الصحيفة الفتحية وأنها من كلام الله القديم)

لم يثبت عن أحد من الأولياء أوغيرهم على مارأينا فى كتب القوم أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم خبر الصلاة الفتحية وأنها من كلام الله القديم وأن فضلها كيت وكيت إلا ماذكره الشيخ على حرازم فى كتابه جواهر المعانى وتبعه التجانية فى ذلك والشيخ على حرازم ومن على شاكلته ممن روى هذا الخبر هل يصح أن يعتمد على روايتهم مع ولوعهم باذاعة ماأذاعوه عن شيخهم من الأقاويل والدعاوى التى يرونها من أعظم الأسرار ويعدونها من اختصاصاته ألم يعلموا أن نشر هذه الأسرار بين العامة الذين لايفهمون الكثير منها قد يحملهم على الخوض فيهم وانتهاك حرمة شيخهم وأن ذلك من إيقاظ الفتنة النائمة المنهى عنه وهب أن رواياتهم عن الشيخ التجانى صحيحة لاوهم فيها فهل رواية الشيخ التجانى لهذا

الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو من أرباب الاحوال كما تقدم نقله فى جواهر المعانى ولاندرى فى أى حال روى هذا الخبر يعول عليها و يصح العمل بها و بما أخذوه منها فى هذا الحكم الخطير وهو أن صلاة الفاتح من كلام الله القديم وكيف يعمل بها فى هذا الباب وهى ان كانت صادرة عنه فى حالة الصحو فقد نصوا على أن رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة ليست كالرؤية المتعارفة بل هى كرؤية النوم لايجوز الاخذ بها فى أحكام الله إلا بعد العرض على الميزان العام وان كان فى حال غيبة فمنع التعويل عليها فى هذه الحالة أشد واذا صح مانقل عنه أصحابه فى كتبهم من المقالات والدعاوى التى تضيق بها صدور قوم وتتسع لها صدور آخرين وصح أنها صدرت عنه حالة الصحو فانى لمن لم يقف على حقيقته ولم يكن على بينة من أمره أن يعتقد أنه من عامة الاولياء فضلا عن الكاملين الذين لم يخلوا باتباع الشريعة قدر الشعيرة حتى تصح لهم رؤية اليقظة بل يجوز حينئذ أن تكون هذه رؤيا خيال لا رؤية عيان فقد نصوا على أن الخيال قد يقوى على نصب الصور الخيالية فى عالم الحس والشهادة نصب الاعيان كما نصوا على أن رؤية اليقظة باب ضيق قل من يقع له ذلك إلا من كان على صفة عزيز وجودها بل قد عدمت من قرون عديدة فما بالك بزمان الشيخ التجانى الذى كثرت فيه الفتن وانتشرت أنواع الفسوق والبدع وبعدت فيه المناسبة بين الناس و بين الحضرة النبوية ونحن وان كنا نجوز وقوع رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة للشيخ التجانى وغيره ولكن الجزم بوقوعها وأنه صلى الله عليه وسلم أخبره بخبر مثل هذا على وجه يستفاد منه حكم شرعى وهو أن صلاة الفاتح من كلام الله القديم محل نظر إذ لا سبيل إلى ضبطه ولا إلى تشريعة للعامة أو الخاصة إلا بوحى من النبى صلى الله عليه وسلم حال حياته

(الكلام فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة)

وقد اختلف العلماء فى امكان رؤيته صلى الله عليه وسلم بعد موته يقظة كما اختلفوا

فى وقوعها كذلك وألف الحافظ السيوطى كتابا فى ذلك سماه تنوير الحلك فى رؤية النبي والملك قال فيه ولم يرد فى ذلك شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما قد يؤخذ من حديث رؤيته منا ما كما فى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى وللعلماء فى تأويل قوله فسيرانى فى اليقظة وجوه منها أن المراد به من آمن به صلى الله عليه وسلم فى حياته ولم يره لكونه حينئذ غائبا عنه فسيراه فى اليقظة فيكون الحديث مبشرا لكل من آمن به ولم يره أنه لابد أن يراه فى اليقظة قبل موته ولعل من تخلف عنه ذلك يكون لعارض من قبله ومنها أنه على التشبيه والتمثيل كما دل عليه قوله فى الرواية الأخرى فكأنما رآنى فى اليقظة ومنها أنه يراه فى الدنيا حقيقة ويخاطبه قال ابن أبى جمرة ونقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبي ﷺ فى المنام ثم رأوه بعد ذلك يقظة وسألوه عن أشياء كانوا متخوفين منها فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك بين الناس فى عالم الحس ومع ذلك فليست كالرؤية المتعارفة بل هي رؤية خاصة وجمعية برزخية قد تقع للشخص وآخر جالس معه لا يدرك شيئا من آثارها كالحياة البرزخية التى تثبت للانبياء والشهداء فى قبورهم فأحكامها ليست كأحكام الرؤية اليقظية المعروفة حتى يلزمها مايلزمها والحق أن رؤيته صلى الله عليه وسلم بعد موته يقظة جائزة ولا مانع من وقوعها على هـذا الوجـه الذى أشرنا اليـه وقد نقلناه مفصـلا عن روح المعانى للعـلامة الألوسى فى خاتمة المطالب القدسية لكاتب هذه السطور جوابا عن سؤال رفع إلى شيخ الجامع الازهر فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٤ فعهد إلينا فضيلته الاجابة عنه إذ ذاك ونص السؤال والجواب ما قولكم فى رجل ادعى ان النبي صلى الله عليه وسلم قام من قبره وتوجه إلى بعض الجهات وخاطب بعض مشائخ الطرق شفهيا وهو الشيخ التجانى وقال له أولادك أولادى وأصحابك أصحابى فهل هذه الدعوى صحيحة الجواب أما بعد حمد الله فاعلم وفقك الله تعالى أنه يجب على كل مسلم خطر بباله هذا الموضوع أن يعتقد

أن النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره بجسمه وروحه وأنه بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء وان حياته صلى الله عليه وسلم نوع من الحياة غير معقول لنا أتم من حياة الشهداء وأقوى وأكمل من الحياة الدنيوية وإن لم يحس بها ولا يدركها كل أحد حتى لو فرض انكشاف القبر الشريف لايرى الناس النبي فيه إلا كما يرى سائر الاموات الذين لم تأكل الارض أجسادهم وربما يكشف الله لبعض عباده فيرى مالا يرى الناس من أسرار تلك الحياة وآثارها وكذلك سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكما ان حياته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته غير معقولة لنا كذلك رؤيته بالبصر ليست كالرؤية المتعارفة عند الناس وإنما هي جمعية حالية وحالة برزخية وأمر وجداني لايدرك حقيقته إلا من باشره وأن هذه الرؤيا إنما تقطع للكاملين الذين لم يخلوا باتباع الشريعة قدر السمير أو لأهل الجذب والشهود الذين لم يفرقوا في هذا العالم بين معقول ومشهود وأن الذي يرى خارج القبر وينتقل إلى الجهات إنما هو مثاله صلى الله عليه وسلم وصورته لا جسمه وبدنه كما عليه أكثر أرباب الاحوال وبه صرح الغزالي وغيره من أئمة الدين وذلك إما بأن تتشكل روحه الشريفة وتظهر بصورة مرئية مع بقائها متعلقة بجسمه الشريف الحي في القبر السامي المنيف كما ظهر جبريل عليه السلام بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وغيره ومع ذلك لم يفارق سدرة المنتهى وإما بجسد مثالي تتعلق به روحه صلى الله عليه وسلم كما هي متعلقة ببدنه الشريف ولا مانع من تعدد الجسد المثالي إلى مالا يحصى مع تعلق روحه بكل جسد وبذلك ينحل السؤال عن كيفية رؤية المتعددين له عليه الصلاة والسلام في زمان واحد في أقطار متعددة وقد يرى نفس جسده الشريف ولكن في قبره بحيث لا ينتقل من موضعه المنيف وإلا خلت منه الروضة الشريفة وامتنع رؤيته في مكانين في زمان واحد لذوي الأحوال والمقامات نعم يجوز أن ينتقل من قبره في نظر الرائي وخياله وعلى ذلك يرى من أمكنة متباعدة

كالشمس فى كبد السماء وضوءها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

وينبغى لمن وقع له ذلك من الكمل أن لا يشيعه بين العامة لما فيه من التعرض للفتنة وحمل الناس على سوء الظن والتهمة وقد نصوا على أن رؤية اليقظة بابه ضيق قل من يقع له ذلك إلا من كان على صفة عزيز وجودها بل عدمت من قرون عديدة فما بالك بهذا الزمان الذى كثرت فيه الفتن وانتشرت أنواع الفسوق وبعدت فيه المناسبة بين الناس وبين الحضرة النبوية وبالجملة فرؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة ومخاطبته مقام عال وسر ربانى متى انكشف استتر ومتى ظهر خفى أنظر تفسير الالوسى وإحياء الغزالى فيما يتعلق برؤيته صلى الله عليه وسلم. إذا علمت ذلك فالشيخ التجانى الذى نسب اليه المدعى ماذكر فى السؤال إن كان من الكمل أصحاب الولاية والكشف العارفين بالله تعالى فلامانع من رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم على أحد الوجوه المتقدمة ولا من انتقال بدنه الشريف فى نظر الرائى وخياله أو انتقال مثاله وصورته الشريفة ومخاطبته له شفهيا وقوله له أولادك أولادى أى هم تحت نظر الحضرة النبوية ولحظها إذا كانوا على قدم الشيخ المرشد ومنهج الكتاب والسنة وأصحابك أصحابى أى محبوبك التابعون لنهجك القويم أصحابى أى معى ومتمتعون بصحبتي قال تعالى « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » ومع هذا لايظن بالشيخ التجانى إذا كان من أهل هذا المقام أن يتفوه بمثل ذلك بين العامة أو يناجى به بعض الخاصة فان ذلك سر من الاسرار وأهل التحقيق لايرون إباحة السر وعلى فرض أن الواقعة صحيحة وأن الشيخ كانت له هذه المنزلة فالتكلم بها لاينبغى أما الرجل الذى أسند إلى الشيخ هذه القصة وأذاعها بين العامة فقد أساء إلى الشيخ التجانى أكثر مما أساء لنفسه وماذا يقصد من إذاعة هذه الحالة إن كان ليفهم الناس أنه ومن حوله على قدم الشيخ التجانى وأولاده لتكون له ولهم تلك الزلفى فيحترم وينال من الناس.

أغراضهم الدنيوية فبئس ماقصد وإن كان لتعريف الناس مقام الشيخ التجانى تعظيما لشأنه فالشيخ رحمه الله ماأغناه عن هذا التعريف والتعظيم وماأشد استياءه من الكشف عن حاله والاباحة بسره وهو الآن فى مقعد صدق عند ربه وماأحوج هذا الرجل إلى تعرف تلك الخصوصية والعمل على نيلها بالفعل لابالقول مع التكتم والاجتهاد حتى يبلغ مبلغ الشيخ التجانى من الحظوة برؤية النبي صلى الله عليه وسلم ومكالمته والغيرة عليها حتى لايجد سبيلا إلى التفوه بها وبالجملة فنشر هذه الأحوال والتحدث بها بين الناس واتخاذها عنوانا للصلاح والتقوى وعدة لدعوى الاندراج فى عـداد سلف القوم وخيارهم نوع من الكذب فى الأحوال وهو أسوأ حالا من الكذب فى المقال

ودعوة المرء تطفى نور بهجته * ولو بحق فكيف المدعى زملا

فالسكوت أكمل والستر أجمل والله أعلم كتبـه الفقـير إلى مولاه الرءوف محمد حسنين مخلوف العدوى المالكى عفى عنه تحريرا فى شهر ربيع الأول سنة ٣٢٤ هذا ماأجبنا به عن هذه النازلة إذذاك ولازلنا نقول به مع القائلين بجواز رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة بعد وفاته على الوجه المـار والكلام فى جواز الرؤية ووقوعها يقظة أومناما غير الكلام فى ضبط مايقع فيها وعلى فرض ضبطه فلابد فى أحكام الدين من عرضه على الميزان المشروع فاذا وقع للشيخ التجانى أوغيره أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أخبره بخبر صلاة الفاتح أوتلقى عنه سرا من الأسرار فلا كلام لنا معه متى صح أنه من الكاملين ولم يخالف ماتلقاه أحكام الشرع القويم وأما اذا أخبر أنه تلقى عنه حكما شرعيا فقهيا أواعتقاديا ككون صلاة الفاتح من كلام الله القديم أوتلقى من الاسرار وفضائل الأعمال مايخالف كتابا أوسنة أواجماعا ككون تلاوة صلاة الفاتح أفضل من تلاوة القرآن فلابد من النظر فى ذلك فما قبل التأويل أولناه بصرفه عن ظاهره بما يتفق مع أذواق أمثاله تنزيها لمقامه عن ارادة ظاهر كلامه ومع هذا التأويل الذى لايلتزم إلا عند

التحقق من صحة حاله وصدوره عنه حال فنائه فقد قال أهل التحقيق إنه لا يرفع عنه لوم الشريعة فى الدنيا وإن كان ناجيا عند الله يوم القيامة وعلى ذلك تخريج نوازل الحجاج وأبى يزيد البسطامى وغيرهم من أكابر القوم نصحا فى الدين وحماية له من عبث العابثين وزندقة المتزندقين كما تقدم وقد علمت أن خبر الصحيفة لا دلالة فيه على أن صلاة الفاتح من كلام الله القديم حتى يقال إن من تلاها ولم يعتقد أنها من كلام القديم لا يصح له الثواب المذكور على أن تفضيل تلاوتها على سائر الصلوات المأثورة وغيرها بأضعاف مضاعفة الى حد مستبعد دليل واضح على أن هذا الخبر وأمثاله مما يروى فى هذا المقام الخطير لا يعول عليه وسيأتى لهذا مزيد

(الالهام بالكتابة للأولياء ليس كالوحى بالألواح للأنبياء)

تقدم أن إلهام الأولياء بالتمثيل الكتابى فى الصحف إنما يدل على أن المكتوب فيها من عند الله تعالى ولا يعمل به إلا إذا تحققت علامته وأما كونه من كلام الله القديم فلا بد له من دليل وأن الخبر الذى رواه الشيخ التجانى عن النبى صلى الله عليه وسلم ليس فيه مايدل على ذلك بل ولا على أن تلك الكتابة بيد القدرة الالهية لجواز أن تكون بواسطة ملكية أو روحية وقد قال الله تعالى فى ألواح موسى عليه السلام « وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء » أى كتبنا له كل شىء من المواعظ وتفصيل الأحكام وغيرها ثم قال تعالى « فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها » فأسند الكتابة اليه تعالى وأمره أن يأمر قومه أن يأخذوا بأحسنها من الأحكام المشتملة عليها ومع ذلك فقد اختلفوا فى كتابتها هل هى من الله تعالى والمشهور عن ابن جرير أن جبريل عليه السلام هو الذى كتبها بالقلم الذى كتب به الذكر الحكيم والمروى عن على ومجاهد وعطاء وخلق كثير أن الله تعالى كتبها بيده كما هو ظاهر الاسناد فى آيته وجاء أنها كتبت وموسى عليه السلام يسمع صرير الأقلام التى كتبت

بها فأين آية الكتابة فى الألواح من خبر النبوة بعد الوفاة وأين إلهام الأول
من وحى الأنبياء وأنى لأتباع الشيخ التجانى يتغالون فى دلالة كتابتها وفهم
صحيفتها ويعتقدون فى صيغتها أنها من كلام الله القديم وأنها بمنزلة الذكر الحك
ولا يدرون أن ذلك حكم نقلى اعتقادى لايثبت إلا بدليل شرعى كما أن طل
اعتقاد ذلك وجوبا أو ندبا متوقف على ورود أمر ينزل به الروح الأمين
خاتم سيد المرسلين أو مايؤخذ منه ذلك وأن مايثبت به أحكام الفروع من
الوجوب وأخواته إنما هو أوامر الكتاب والسنة وما إليهما من إجماع
قياس وما يثبت به أحكام الأصول فان كانت عقلية فدليلها العقل ولكن لاي
بها عقيدة إلا إذا ورد بها الشرع وان كانت سمعية فدليلها السمع كما هو مب
فى كتب الأصول والفروع

(كلام أرباب الاشارات فى ذلك)

لاشك أن ماهو أجدر بالذكر وأقرب لايمان أهل الفكر ماينقل فى هذ
الباب عن أكابر السادة الصوفية ومن ذلك مانقله الامام أبو المواهب الشعرا
عن الشيخ الأكبر محي الدين بن العربى قدس سره أن ملك الالهام لاينز
على قلب غير نبى أصلا ولايأمر بأمر إلهى جملة واحدة فان الشريعة قد استقر
وبين الفرض والواجب وغيرها فانقطع الأمر الالهى بانقطاع النبوة والرسالة و
بقى أحد يأمره الله تعالى بأمر يكون شرعا مستقلا يتعبد به اه واذا كان هذ
فى أحكام الفروع فكيف بأحكام الأصول التى خطرها أشد من الفروع
بال التجانية يجمعون بينهما فى الصلاة الفتحية وحاصل مانقله أبو المواهب عن
الشيخ الأكبر أن الأحكام الشرعية لاتثبت الا بالشرع المبعوث به النبى صلى
الله عليه وسلم ولذلك وجب فيما يستنبطه الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون
أن لايخرج عن دلالة الكتاب والسنة ونقل العلامة الآلوسى عن الامام الشعرانى
فى تفسير قوله تعالى « وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب

أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء » أن الوحى مايلقيه الله تعالى فى قلوب خواص عباده على جهة الحديث فيحصل لهم من ذلك علم بأمر ما فان لم يكن على جهة الحديث فليس بوحى ولا خطاب فان بعض الناس يجدون فى قلوبهم علما بأمر مامثل العلوم الضرورية عند الناس فهو علم صحيح لكن ليس صادراً عن خطاب وكلامنا إنما هو فى الخطاب الالهى المسمى وحيا فان الله تعالى جعل هذا الصنف من الوحى كلاما يستفيد به العلم من جاء له واعلم أنه لاينزل على قلوب الأولياء من وحى الالهام إلا دقائق ممتدة من الأرواح الملكية لانفس الملائكة لان الملك لاينزل بوحى على غير نبى أصلا ولا يأمر بأمر إلهى قطعاً لان الشريعة قد استقرت فلم يبق إلا وحى المبشرات وهو الوحى الأعم ويكون من الحق إلى العبد من غير واسطة ويكون أيضا بواسطة والنبوة من شأنها الواسطة فلا بد من واسطة الملك فيها لكن الملك لايكون حال القائه للأولياء ظاهراً بخلاف الأنبياء عليهم السلام فانهم يرون الملك حال الكلام والولى لايشهد الملك إلا فى غير حال الالقاء فان سمع كلامه لم يره وان رآه لايكلمه فالعارفون لاينالون مافاتهم من النبوة مع بقاء المبشرات عليهم إلا أن الناس يتفاضلون فنهم من لايبرح فى بشارة الواسطة ومنهم من يرتفع عنها كالأفراد فان لهم المبشرات بارتفاع الوسائط ومالهم النبوات ولهذا ينكر عليهم الاحكام لانهم ضاهوا الأنبياء من حيث كونهم يعملون بما يرونه من تعريفات الحق لهم كأنه شريعة مستقلة فى الظاهر وليس ذلك بشريعة إنما هو بيان لها فالمنقطع إنما هو وحى التشريع لاغير أما التعريف لأمور مجملة فى السنة فهو باق لهذه الأمة ليكونوا على بصيرة فيما يدعون الناس اليه لانه خبر إلهى وإخبار من الله تعالى للعبد على يد ملك مغيب على هذا الملهم ولا يكون الالهام إلا فى الخير وألهمها فجورها على معنى إلهامها إياه لتجتنبه كما أن إلهامها تقواها لتعمل بها وأكمل الالهام أن يلهم اتباع الشرع والنظر فى الكتب الالهية ويقف عند حدودها وأوامرها حتى يزول

نصدى طبيعته و تنتقش فيها صور العالم وأما قوله تعالى « أو من وراء حجاب »
فهو خطاب إلهى يلقيه على السمع لا على القلب فيدركه من ألقى إليه فيفهم منه
ماقصده من يسمعه ذلك وقد يحصل له ذلك فى صورة التجلى فتخاطبه تلك
الصورة وهى عين الحجاب فيفهم من ذلك الخطاب علم مايدل عليه و يعلم أن ذلك
حجاب وأن المتكلم من وراء ذلك الحجاب وكل من أدرك صورة التجلى الالهى
يعلم أن ذلك هو الله تعالى فما يزيد صاحب هذا الحال على غيره إلا بمعرفته أن
المخاطب له من وراء الحجاب وأما قوله تعالى « أو يرسل رسولا » فهو مايتنزل به
الملك أو مايجىء به الرسول البشرى الينا إذا نقلا كلام الله تعالى خاصة كالتالين
فان نقلا علماً وجداه فى أنفسهما وأفصحا عنه فذلك ليس بكلام إلهى
ومن الأولياء من يعطى الترجمة عن الله سبحانه فى حال الالقاء والوحى الخاص
بكل انسان فيكون المترجم موجدا لصور الحروف اللفظية أو المرقومة ويكون
روح تلك الصور أى معانيها كلام الله عز وجل لاغير وقد يقول الولى حدثنى
قلبي عن ربى يعنى به من الوجه الخاص فاعلم ذلك اه وانظره فقد أطلق كلام الله
على نفس الصور المعنوية وفى كلام علماء الكلام مايوافقه وقوله فى معنى الوحى
على جهة الحديث يشير به إلى ماذكره قبل ذلك من الفرق بين الحديث والخطاب
حيث قال واعلم ان حديث الحق سبحانه للخلق لايزال أبدا غير ان من الناس
من يفهم أنه حديثه كعمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن ورثه من الأولياء
ومنهم من لا يعرف ذلك ويقول ظهر لى كذا وكذا أولا يعرف أن ذلك من حديث
الحق سبحانه معه وكان شيخنا يقول كان عمر من أهل السماع المطلق الذين
يحدثهم الله تعالى فى كل شىء ولكن له ألقاب وهو انه إن أجابوه به تعالى فهو حديث
وإن أجابوه بهم فهى محادثة وإن سمعوا حديثه سبحانه فليس بحديث فى حقهم
وإنما هو خطاب أو كلام وقد ورد فى المتهجدين أنهم أهل المسامرة اه والحاصل أن
المفهوم من كلامه رضى الله عنه أن الترجمة فى صنف الوحى والتكلم من وراء الحجاب

ليست من كلام الله تعالى بل هي من كلام من أفصح عن العلم المستفاد من ذلك
بخلاف الصنف الثالث كما يفهم منه أيضا أن هناك فرقا بين ما يلقي من حديث الحق
على القلب وما يلقى منه على السمع وأن الأول لاخطاب فيه دون الثاني وإن اشترك
الكل فى معنى التكلم كما ينبيء عنه موضوع الآية وما كان لبشر أن يكلمه الله إذ
المانع من سماع كلام الحق بجميع أنواعه البشرية العائقة عن اللحوق بالأرواح
المجردة كما قال رضى الله عنه فاذا ارتفع العبد عنها كلمه الله تعالى من حيث كلم
سبحانه تلك الأرواح وفى هذه الحالة يكون الحق جميع قوى العبد لأنه محال أن
يطيق الحادث سماع كلام القديم ولم يكن الحق سبحانه قواه عند النجوى ولذلك
خر موسى عليه السلام صعقا إذلم يكن له استعداد يقبل به التجلى اللائق بمقامه
وثبت نبينا صلى الله عليه وسلم ولما لم يكن للجبل درجة المحبة التى يكون بها الحق
سمع عبده و بصره وجميع قواه لم يقدر على سماع الخطاب فدك اه . و إلى ذلك
يشير حديث لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت
سمعه الخ وتقدم أن الوحى اللغوى عام يشمل الالهام بجميع أنواعه ومنه الالهام
بانزال الأوراق النورية والظاهر من قوله ومن الأولياء من يعطى الترجمة الخ
أن المترجم للحروف المرقومة فى الصحيفة النورية أي الناطق بألفاظها المدلولة
لرقومها هو الموجد لصور الحروف اللفظية وهى صيغة الصلاة الفتحية وعليه فتكون
من كلام القطب البكرى لا من كلام الله وتكون روح تلك الصور اللفظية أى
معانيها من كلام الله عز وجل كما ينبيء عنه قوله (و يكون روح تلك الصور كلام
الله عز وجل لاغير) فأنت تراه أطلق كلام الله تعالى على معانى صور الحروف
اللفظية لأن هذه المعانى مدلولة للصيغة الفتحية المدلولة للرقوم الكتابية التى هى
من عند الله تعالى فكانت لهذا من عند الله تعالى والتوسع فى هذا الاطلاق كالتوسع
فى اطلاقهم كلام الله تعالى على ما بين دفتى المصحف من الرقوم الكتابية ولو سلك
التجانية هذا المسلك فى الصلاة الفتحية لخلصوا من هذه الورطة التى ليس لهم

فيها مسوغ وقد علمت أن الكلام معهم فى إلهام الأحكام الشرعية وأما إلهام غيرها فبابه واسع لا حجر فيه وميزانه الامكان العقلى على أن القول بأن صيغة الصلاة الفتحية نزلت على القطب البكرى فى صحيفة نورية منحة منه تعالى اليه بطريق الكتابة وأن ذلك يستلزم كونها من كلام الله القديم أوأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر الشيخ التجانى بأنها من كلامه تعالى فان قلنا ان ذلك من باب التكليم والخطاب حتى تكون صلاة الفاتح من كلام الله القديم لزم تكليم الله لغير الأنبياء والملائكة مع أن تكليم الله للبشر منحصر فى وجوه الآية السابقة وان قلنا إنه لم يخاطبه الحق سبحانه وانما الذى حصل هو منحة القطب البكرى بهذه الصيغة فذلك ليس فيه دليل على أن ما فى الصحيفة من كلام الله القديم نعم فيه تكليم بالمعنى العام الذى يشمل إيصال المعانى الى القلب ولو برسوم الكتابة وبعد كتابة هذا رأيت فى مدارج السالكين مايشفى الغلة فى هذا الموضوع مما له مساس بمباحث المنهج وأقاويل الشيخ التجانى وأمثاله فرأيت أن ألحقه بهذا الموضع لما فيه من الفوائد الجمة وان طال به البيان

(كلام ابن القيم فى مراتب الهداية)

مراتب الهداية عشرة : منها مرتبة تكليم الله عز وجل لعبده يقظة بلاواسطة وهذه أعلى مراتبها كما كلم موسى بن عمران صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه قال الله تعالى « وكلم الله موسى تكليما » فذكر فى أول الآية وحيه إلى نوح والنبيين من بعده ثم خص موسى من بينهم بالأخبار بأنه كلمه وهذا يدل على أن التكليم الذى حصل له أخص من مطلق الوحى الذى ذكر فى أول الآية ثم أكده بالمصدر المفيد تحقيق النسبة ورفع توهم المجاز ولوكان التكليم الذى حصل له من جنس ما حصل لغيره من الأنبياء لم يكن لهذا التخصيص به معنى ولا كان يسمى كليم الرحمن وقد قال تعالى « وما كان لبشر أن يكلمه الله الاوحيا » الآية ففرق بين تكليم الوحى والتكليم بارسال الرسول والتكليم من وراء الحجاب

منها مرتبة الوحى المختص بالأنبياء قال الله تعالى « إنا أوحينا اليك كما
وحينا الى نوح والنبيين من بعده »وقال « وما كان لبشرأن يكلمه الله الا وحيا »
لآية فجعل الوحى فى هذه الآية قسما من أقسام التكليم ويجعله فى آية النساء قسيما
تكليم وذلك باعتبارين فانه قسيم التكليم الخاص الذى بلاواسطة وقسم من التكليم
لعام الذى هو إيصال المعنى بطرق متعددة والوحى فى اللغة هو الاعلام السريع
لخفى وهو أقسام كما سيأتى ومنها مرتبة إرسال الرسول الملكى إلى الرسول
لبشرى فيوحى اليه عن الله ما أمره أن يوصله اليه فهذه المراتب الثلاث خاصة
الأنبياء لا تكون لغيرهم ثم هذا الرسول الملكى قد يتمثل للرسول البشرى رجلا
براه عيانا ويخاطبه وقد يراه على صورته التى خلق عليها وقد يدخل فيه الملك
يوحى اليه ما يوحيه ثم يفصم عنه أى يقلع والثلاثة حصلت لنبينا صلى الله عليه
وسلم . ومنها مرتبة التحديث وهذه دون مرتبة الوحى الخاص كما كانت لعمر بن
الخطاب رضى الله عنه كما قال النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان فى الأمم قبلكم
محدثون فان يكن فى هذه الأمة أحد فعمر بن الخطاب والمحدث هو الذى يحدث
فى سره وقلبه بالشيء فيكون كما يحدث به ومحدث هذه الأمة كان يعرض ما يحدث
به على ماجاء به الرسول فان وافقه قبله والارده فالمحدث ليس موحى اليه ولا مكلما
وأما مايقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات حدثنى قلبي عن ربى فصحيح
أن قلبه حدثه وعن من عن شيطانه أوعن ربه فاذا قال حدثنى قلبي عن ربى كان
مسندا للحديث الى من لم يعلم أنه حدثه به وذلك كذب قال ومحدث الأمة لم يكن
يقول ذلك ولا تفوه به يوما من الدهر وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك بل كتب
كاتبه يوما هذا ماأرى الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال لا أمحوا كتب
هذا مارأى عمر بن الخطاب فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمن عمر والله
ورسوله منه برىء وقال فى الكلالة أقول فيها برأيى فان يكن صوابا فمن الله وان
يكن خطأ فمني ومن الشيطان فهذا قول المحدث بشهادة الرسول وأنت ترى

الاتحادى والحلولى والمباحى والشطاحى والسماعى مجاهر بالقحة والفرية ويقول حدثنى قلبي عن ربى فانظر إلى ما بين القائلين والمرتبتين والقولين والحالين وأعط كل ذى حق حقه ولا تجعل الزغل والخالص شيئا واحدا اهـ وكما تنظر ما بين ذلك فانظر الى ما بين مرتبة المحدث ومقاله وما قيل بشأنه وبين مرتبة الشيخ التجانى وأقواله وأحواله وما قيل بشأنه وشأن اتباعه وأعط كل ذى حق حقه ولا تجعل الزغل والخالص شيئا واحدا

ومنها : مرتبة الافهام قال الله تعالى « وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » فذكر هذين النبيين الكريمين فأثنى عليهما بالعلم والحكم وخص سليمان بالفهم فى هذه الواقعة المعينة وقال على بن أبى طالب وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء دون الناس فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة الافهما يؤتيه الله عبدا فى كتابه وما فى هذه الصحيفة وكان فيها العقل وهو الديات وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر وفى كتاب عمر بن الخطاب لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما والفهم فيما أدلى اليك فالفهم نعمة من الله على عبده ونور يقذفه الله فى قلبه يعرف به ويدرك ما لا يدركه غيره ولا يعرفه فيفهم من النص ما لا يفهمه غيره مع استوائهما فى حفظه وفهم أصل معناه فالفهم عن الله ورسوله عنوان الصديقية ومنشور الولاية النبوية وفيه تفاوتت مراتب العلماء حتى عد ألف بواحد فانظر الى فهم ابن عباس وقد سأله عمر ومن حضر من أهل بدر وغيرهم عن سورة إذا جاء نصر الله والفتح وما خص به ابن عباس نعى الله سبحانه نبيه إلى نفسه واعلامه بحضور أجله وموافقة عمر له على ذلك وخفائه عن غيرها من الصحابة وابن عباس إذ ذاك أحدثهم سنا وأين تجد فى هذه السورة الاعلام بأجله لولا الفهم الخاص ويدق هذا حتى يصل إلى مراتب تتقاصر عنها أفهام أكثر الناس فيحتاج مع النص إلى غيره ولا يقع الاستغناء بالنصوص فى حقه وأما فى

حق صاحب الفهم فلا يحتاج مع النصوص الى غيرها اه ومن هنا كانت أصول الشريعة التي تستند اليها الاحكام الشرعية أربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس. مع العلم بأن هذه الهداية الخاصة التي منحها الله تعالى لمن لطفت أذهانهم واستقامت أفهامهم من خاصة الامة أصبحت من عهود بعيدة أندر من الكبريت الأحمر وأصبحت حاجة النصوص إلى غيرها في استنباط الأحكام الشرعية أمرا لازما نعم لا بد في اعتبار الغير أصلا من أصول الشريعة أن يكون صادرا من متأهل توفرت فيه الشروط المنوه عنها في كتب الأصول. ومنها مرتبة البيان العام وهو تبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلته وشواهده وإعلامه بحيث يصير مشهوداً للقلب كشهود العين للرئيات وهذه المرتبة هي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحداً ولا يضله إلا بعد وصوله إليها قال الله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » « وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون » فهذا الاضلال عقوبة منه لهم حيث بين لهم فلم يقبلوا ما بينه ولم يعملوا به فعاقبهم بأن أضلهم عن الهدى وما أضل الله سبحانه أحداً قط إلا بعد هذا البيان وإذا عرفت هذا عرفت سر القدر وزالت عنك شكوك كثيرة في هذا الباب وعلمت حكمة الله في إضلاله من يضله من عباده والقرآن يصرح بهذا في غير موضع كقوله « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » « وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم » فالأول كفر عناد والثاني كفر طبع. فتأمل هذا الموضع حق التأمل فانه موضع عظيم وقال تعالى « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » فهذا هدى بعد البيان والدلالة وهو شرط لا موجب. فانه إن لم يقترن به هدى آخر بعده لم يحصل به كمال الاهتداء وهو هدى التوفيق والالهام ومنها مرتبة البيان الخاص وهو البيان المستلزم للهداية الخاصة وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والاجتباء وقطع أسباب الخذلان عن القلب فلا تتخلف عنه الهداية البتة قال تعالى في هذه المرتبة « إن تحرص على هداهم فان الله لا يهدي

من يضل » وقال « إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » فالبيان الأول شرط وهذا موجب اه فمن ادعاه بغير حق فقد ضل سواء السبيل واجترأ على الله ورسوله بجريمة الافتراء والتضليل ومنها مرتبة الالهام قال الله تعالى « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين ابن المنذر الخزاعي لما أسلم قل اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي وهو عام للمؤمنين بحسب إيمانهم فكل مؤمن قد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الايمان بخلاف التحديث كما تقدم فانه إلهام خاص وهو الوحي إلى غير الأنبياء قال وهو على ثلاث درجات الدرجة الأولى نبأ يقع وحياً قاطعاً مقرونا بسماع وهو نبأ خبر عن غيب معظم يقطع من وصل إليه بموجبه إما بواسطة سمع أو هو الاعلام بلا واسطة قلت أما حصوله بواسطة سمع فليس ذلك بالهام بل من قبيل الخطاب وهذا يستحيل حصوله لغير الأنبياء وهو الذي خص به موسى إذ كان المخاطب هو الحق عز وجل وأما ما يقع لكثير من أرباب الرياضات من سماع فهو من أحد وجوه ثلاثة لا رابع لها أعلاها أن يخاطبه الملك خطابا جزئيا فان هذا يقع لغير الأنبياء كما حصل لعمران بن حصين وهو نوعان أحدها خطاب يسمعه بأذنه وهو نادر بالنسبة إلى عموم المؤمنين والثاني خطاب يلقى فى قلبه يخاطب به الملك روحه كما فى الحديث المشهور إن للملك لمة بقلب ابن آدم وللشيطان لمة فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالوعد ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالوعد ثم قرأ « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا » وقال تعالى « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا » قيل تفسيرها قووا قلوبهم وبشروهم بالنصر وقيل احضروا معهم القتال والقولان حق فانهم حضروا معهم القتال وثبتوا قلوبهم الوجه الثانى من الخطاب المسموع خطاب الهواتف من الجان وقد يكون المخاطب جنيا مؤمنا صالحا وقد يكون شيطانا مغويا وهذا أيضا نوعان أحدها أن يخاطبه خطابا يسمعه بأذنه والثانى أن يلقى فى قلبه عند ما يلم به ومنه وعده

وأمنيته حين يعد الانسى ويمنيه ويأمره وينهاه كما قال تعالى « يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً » وقال « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » وللقلب من هذا الخطاب نصيب وللأذن منه أيضا نصيب والعصمة منتفية إلا عن الرسل ومجموع الأمة فمن أين للخاطب أن هذا الخطاب رحمانى أو ملكى بأى برهان أو بأى دليل والشيطان يقذف فى النفس وحيه ويلقى فى السمع خطابه فيقول المغرور المخدوع قيل لى وخوطبت . صدقت . لكن ما الشأن فى القائل لك والمخاطب وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لغيلان ابن سلمة وهو من الصحابة لما طلق نساءه وقسم ماله بين بنيه إنى لأظن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك فقذفه فى نفسك فمن يأمن القراء بعدك ياشهر الوجه الثالث خطاب خيالى تكون بدايته من النفس وعوده إليها فيتوهمه من خارج وإنما هو من نفسه منها بدا وإليها يعود وهذا كثيراً مايعرض للسالك فيغلط فيه ويعتقد أنه خطاب من الله كلمه به منه إليه وسبب غلطه أن اللطيفة المدركة من الانسان إذا صفت بالرياضة وانقطعت علقها عن الشواغل الكثيفة صار الحكم لها بحكم استيلاء الروح والقلب على البدن ومصير الحكم لهما فتنصرف عناية النفس والقلب إلى تجريد المعانى التى هى متصلة بهما وتشتد عناية الروح بها وتصير فى محل تلك العلائق والشواغل فتملأ القلب فتصرف تلك المعانى إلى المنطق والخطاب القلبي الروحى بحكم العادة ويتفق تجرد الروح فتتشكل تلك المعانى للقوة السامعة تشكل الأصوات المسموعة وللقوة الباصرة تشكل الأشخاص المرئية فيرى صورها ويسمع الخطاب وكله فى نفسه ليس فى الخارج منه شىء ويحلف أنه رأى وسمع وصدق لكن رأى وسمع فى الخارج أو فى نفسه ويتفق ضعف التمييز وقلة العلم واستيلاء تلك المعانى على الروح وتجردها عن الشواغل فهذه الوجوه الثلاثة هي وجوه الخطاب ولاسمع غيرها فانما هو غرور وخداع وتلبيس وهذا الموضع مقطع القوم وهو من أجل المواضع لمن حققه وفهمه والله الموفق للصواب اه

وقد وفقنا ولله الحمد للاشارة إلى شيء من هذا الموضع أول المقال عند بيان حال الشيخ التجانى وظاهر أن السماع من النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية له يقظة أو مناما يأتى فيه ما يناسبه من هذا الموضع المتعلق بالسماع والتكليم من الحق جل شأنه فتفطن الدرجة الثانية من مرتبة الالهام إلهام يقع عيانا وعلامة صحته أنه لايخرق سترا أى أن صاحبه إذا كوشف بحال غيره المستور عنه لايخرق ستره ويكشفه خيرا كان أو شرا أو أنه لايخرق ماستره الله من نفسه عن الناس بل يستر نفسه ويستر من كوشف بحاله الثانية أنه لايجاوز حدا أى أنه لايتجاوز به إلى ارتكاب المعاصى وتجاوز حدود الله مثل الكهان والكشف الشيطانى الثالثة أنه لايخطىء أبدا بخلاف الشيطانى فان خطأه كثير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صائد ماترى قال أرى صادقا وكاذبا فقال لبس عليك والكشف الشيطانى لابد أن يكذب ولايستمر صدقه البتة أنظر تمامه فى شرح المدارج ومنها الرؤيا الصادقة وهى من أجزاء النبوة كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يبق من النبوة إلا المبشرات قيل وما المبشرات يارسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أوترى له والرؤيا كالكشف والالهام منها رحمانى ومنها نفسانى ومنها شيطانى كما قال صلى الله عليه وسلم الرؤيا ثلاثة رؤيا من الله ورؤيا تحديث من الشيطان ورؤيا مما يحدث به الرجل نفسه فى اليقظة فيراه فى المنام والذى من أسباب الهداية هو الرؤيا التى من الله خاصة ورؤيا الانبياء وحى فانها معصومة من الشيطان وأما رؤيا غيرهم فتعرض على الوحى الصريح فان وافقته فصحيحة وإلا لم يعمل بها وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثا فمن أراد أن تصدق رؤياه فليتحر الصدق وأكل الحلال والمحافظة على الامر والنهى ولينم على طهارة كاملة ويذكر الله حتى تغلبه عيناه فان رؤياه لاتكاد تكذب البتة وأصدق الرؤيا رؤيا الأسحار فانه وقت النزول الالهى واقتراب الرحمة والمغفرة وسكون الشياطين وعكسه رؤيا العتمة عند انتشار الشياطين والأرواح الشيطانية وقال عبادة بن الصامت رضى الله عنه رؤيا

ؤمن كلام يكلم به الرب عبده فى المنام وللرؤيا ملك موكل بها يريها للعبد فى أمثال
اسبه وتشا كله فيضربها لكل أحد بحسبه وقال مالك الرؤيا من الوحى وحى
زجر عن تفسيرها بلا علم وقال أتتلاعب بوحى الله اه ملخصا ومن تأمل فى هذه
فصول التى نقلناها عن مدارج السالكين ومنازل السائرين يمكنه أن يفصل
، حالة الشيخ التجانى وما أذاعه عنه أصحابه قديما وحديثا ويستغنى عما أطال به
نهج فى كثير من مباحثه ولكن حرصه على جلب الفوائد وجمع الشوارد للناظرين
ى الذى دعاه الى هذه الاطالة التى قد يكون من ورائها لطلاب الحق هداية ومع
لك فمثلنا ممن يقصر بيانه لضعف أسلوبه عن كشف الحقائق على ماينبغى إذا عنى
لكتابة فى موضوع لطروداعية أوتقريب مسألة لأهل العلم ممن قصرت هممهم
وشغلتهم أعمالهم الدينية أو الدنيوية عن مطالعة الكتب المطولة ليس له فى
تأليف إلا حسن الاختيار ومايعطى من الفهم الذى يؤتيه الله لعباده المخلصين
حسب استعدادهم ولذلك تجدنى فى كل رسائلى أعنى بالعزو والنقل عمن يوثق
علمهم ويعول على فهمهم من سلف العلماء وخلفهم وخصوصا فيما يكتب للاجابة
عن أسئلة المتنازعين

(الكلام فى الاجتهاد الصوفى وحكم العمل به)

وفى بلوغ السول لكاتب هذه السطور اعلم أن علم الأصول الذى بينا حاجة
الفقيه إليه وانه العدة الأولى للمجتهد المستفيد للحكم الشرعى من مآخذه الشرعية
والشروط التى يدور عليها أمر اجتهاده إنما هو فى المجتهد الأصولى الذى يكتسب
علم الأحكام الفقهية بالنظر في أدلتها التفصيلية وهناك مجتهد آخر صوفى يكتسب
العلوم بالجد والاجتهاد فى العمل وهذا لايشترط فيه ماذكر بل شرطه تصفية
النفس وتزكيتها والتحلى بالخلق الربانى والتهيؤ لقبول العلم والفيض الالهى فان
الانسان إذا كمل فى أخلاقه وصفت نفسه وتهيأت بالفقر واللجأ إلى الله تعالى
وصدقت عزيمته فى الله ولم يتكل على حوله وقوته خلق الله فيه العلم كما يخلقه

فيمن استوفى شروط الاجتهاد فاجتهد وصرف فكره ونظره فى الطريق المشروع وقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » أى هداية ونورا فى قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل جامع بين القبيلين والقول بأنه سبحانه إنما يخلق العلم فى هذا دون ذاك حجر على الله تعالى وخروج عن الانصاف فلا ينبغى للمنصف العارف بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده إلا أن يسلم لمن ظهرت فيه آثار التصفية والتهيىء وسطعت عليه أنوار التخلق بالخلق الربانى ما أتى به ولو لم يأت به مجتهد الفقه مالم يخالف كتاب الله أو سنة رسوله أو اجماعا أو قياسا جليا نعم ذكر بعضهم أنه لايجوز تقليد أهل الكشف فى كشفهم وهو الحق لأن الكشف لايكون حجة على الغير وملزما له وقد ورد أن للقرآن ظهراً وبطنا كما تقدم فى حديث ابن عباس المشهور وروى عن الحسن أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل آية ظهر وبطن وظهرها ماظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر وبطنها ماتضمنته من الأسرار التى أطلع الله عليها أرباب الحقائق ومن هذا القبيل كلام السادة الصوفية فى القرآن فهو من باب الاشارة إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك ويمكن تطبيقها على الظواهر المرادة وذلك من كمال الايمان ومحض العرفان خلافا للباطنية الملاحدة الذين ينفون الظواهر قطعا توصلا لهدم الشريعة الغراء ويريدون معانى أخرى يزعمونها بواطن القرآن وليست منه فى شىء ولقد أخطأ من التبس عليه الفرق بين المسلكين فان الصوفية مع أخذهم بالظواهر المرادة من القرآن قد حضوا على حفظها والتمسك بها وقالوا لابد منها ولامطمع فى الوصول للباطن إلا من طريقها كالبيت لايتوصل لداخله إلا بعد ولوج بابه أما أولئك فعلى الضد من ذلك والقول بأن دلالة الكلام محصورة فى أنواع خاصة والدلالة الاشارية ليست واحدة منها ولا هى مضبوطة يمكن الرجوع إليها ممنوع لما علمت أن المعانى الاشارية التى يذكرها السادة الصوفية فى القرآن مقصورة على ما يمكن تطبيقه على ظواهره وغايته أن السياق ليس لها

بالنسبة للعامة وقصر الدلالة فى الأنواع الثلاثة المشهورة إنما هو فى الدلالة الآلية التى لابدلها من أوضاع خاصة وعلوم تعتمد عليها فى فهم معانى الكلام ومعرفة أساليبه وهى دلالة العامة والخاصة يشاركونهم فى هذه الدلالة و يمتازون عنهم بدلالة أخرى أعم وأشمل وهى الدلالة الاشارية الالهامية التى يعتمد فيها على الالهام والفيض والاعتراض على الصوفية بأن ماعندهم إن كان موافقا للكتاب والسنة فهما بين أيدينا و إن كان مخالفا لهما فهو رد عليهم مدفوع بأن كون الكتاب والسنة بين أيدينا لا يستدعى عدم إمكان استنباط شيء منهما بعد ولا يقتضى انحصار ما فيهما فيما علمه العلماء قبل فيجوز أن يعطى الله تعالى لبعض خواص عباده فهما يدرك به منهما مالم يقف عليه أحد من المفسرين والعلماء المجتهدين فى الدين وكم ترك الأوائل للأواخر وظاهر أن الكلام إنما هو فى المسائل الاجتهادية التى ليس فيها نص ولا إجماع فالمجتهد الأصولى ينظر فيها من طريق الأدلة الشرعية فيستنبط حكمها والمجتهد الصوفى ينظر فيها بالتوجه والتجرد من طريق الفيض والالهام فيخلق الله له العلم بها فتارة يتفق نظرهما فى الواقعة وهو الكثير الغالب وتارة يختلف وفى هذه الحالة يبقى كل منهما على اجتهاده فيما يختص بعمل نفسه والمعول عليه عند الجمهور نظر الأصولى فيما يتعلق بعمل غيره فهو الذى يقلد ويجب على العامى إتباعه دون المجتهد الصوفى هذا فى الأحكام الشرعية وأما المعانى الاشارية والاسرار الربانية التى تدل عليها آيات التدوين وتبديها سطور التكوين مما يفاض على قلوب العارفين وليست من هذا القبيل فهذه مع كونها لاحصر لها ولا ينتهى مداها ليس بينها وبين مايستنبطه الفقيه بالطرق المرسومة والقواعد المدونة معارضة ولاهي متفقة معها فى نوع الدلالة بل لهذه دلالة ولتلك دلالة أخرى والاجتهاد فى كل منهما عدة تخالف العدة الاخرى اه ألوسى بتصرف وزيادة ومنه تعلم أن الاجتهاد الصوفى مهما لجأ العبد فيه إلى الله تعالى واستعد بعمله واخلاصه لاجابة دعائه لا يمنح منحة الأمر والنهى السماوى المتعلق بأحكام الله تعالى و إنما يمنح فهما فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى

الله عليه وسلم فيدرك منها مالم يقف عليه أحد من علماء النظر وقد علمت حكمه وما يتبع فيه وظاهر أن منحة القطب البكرى التي وردت إليه من الحضرة القدسية مكتوبة بقلم القدرة الالهية على فرض صحتها وصحة خبرها المروى عن الشيخ التجانى ليس فيها شيء من ذلك لاأمر ولا نهى تعلق باعتقاد أنها من كلام الله القديم وإنما فيها رسوم مخصوصة دالة على الالفاظ المسماة بالصلاة الفتحية وهذه الألفاظ كسائر الصلوات دعاء داخل فى عموم قوله تعالى « أدعونى استجب لكم » وفى خصوص قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا صلوا عليه » أما كون هذه الألفاظ من كلام الله تعالى فليس فى هذه المنحة ما يفيده ولم ينقل عن الشيخ البكرى أنه قال به ولا طلب من الله أن يمنحه صلاة تكون من كلامه القديم ولا طريق هاهنا لاثبات شيء من ذلك

(الكلام فيما اشترطه التجانية لنيل الثواب فى الصلاة الفتحية)

وأما ما اشترطوه لنيل الثواب الخاص من إذن الشيوخ واعتقاد أنها من كلامه تعالى فقد يسلم بالنسبة للاذن سواء كانت الصلاة الفتحية من عنده تعالى ومن تأليف القطب البكرى كما اشتهر نقلها عنه فقد ذكر العلماء أن لاذن الشيوخ فى قراءة الأحزاب والاوراد أثرا خاصا فى نفس المريد وعلو همته فى السير إلى الله تعالى مادام تحت تربية شيخه حتى تصفو نفسه وتخلص من العوائق البشرية وتستأنف السير فى الله تعالى ولذا كان اتخاذ الشيخ فى السير إلى الله تعالى ركنا من أركان الطريق عند السادة الصوفية كما أشار إلى ذلك أستاذنا رحمه الله فى مورده الرحمانى حيث قال

واطلب إماما عارفا بالسير * ولا تسح فى سيحها بالضير

فالخير فى سوح الشيوخ الكمل * من ألزم واعين الحشا حب العلى

ومضاعفة الثواب الاخروى على أى عمل من أعمال البر مع كونه بمحض الفضل يتفاوت بتفاوت العاملين وإخلاص نياتهم ولاذن الشيوخ دخل فى ذلك ولكن

تحديده بعدد مخصوص يحتاج إلى نقل صحيح أو كشف صريح كما أن أسرار الأعمال الصالحة تتفاوت بتفاوت العاملين وإخلاصهم ولاذن الشيوخ أيضا تأثير فى ظهورها وتفاوت أنواعها ومن الاذكار والأوراد ما هو مطلق يعطى خاصيته بمجرد تلاوته بدون احتياج إلى وسيلة الاذن ومنه مالا بد فيه من الاذن وبالجملة فالفوائد الروحانية والأذكار والأوراد الشرعية كالعقاقير والأدوية المادية أودع الله فيها من الأسرار والمنافع المعدة لها كما أودع فى تلك الأدوية التى منها ما يحتاج إلى تدبير وإرشاد من العارفين بكيفية استعمالها ومنها مالا يحتاج ومن هنا أخذ علماء الطب الروحانى التداوى بالرقى والتمائم والتوسل بها إلى الله تعالى فى حصول الشفاء وغيره سواء كانت بأسماء الله وآياته أو بغيرها من الأدعية والتعوذات وغيرها من كل ما أودع الله فيه من الخصائص والأسرار التى يترتب عليها حصول المطلوب وغيره من حوائج الدنيا والآخرة فقراءتها وكتابتها سبب من الأسباب العادية التى يخلق الله الفعل عندها أو بها إذا توفرت شروطها كسائر الأسباب المادية وليس فى ذلك شىء مما يزعمه من لا بطان لهم يسع أسرار التكوين والتدوين وحديث الأمر بالتداوى شامل لها قال ابن رسلان كما فى نيل الأوطار إن هذا أى التداوى بذلك جائز لا أعرف من يمنعه فى الشرع وأحاديث البخارى وغيره فى الرقية بالفاتحة والمعوذتين تدل على جواز الرقية بغيرها من آيات الله تعالى وكل ما هو مأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم من الأدعية والتعوذات ويلحق به ما ورد عن الصالحين من الأقوال والأعمال والتحصنات التى لا تشتمل على باطل من الكلام فان الرقية منها ما هو مشروع وغير مشروع كما يشير اليه حديث خارجة ابن الصلت عن عمه أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم ثم أقبل راجعا من عنده فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد فقال أهله انا قد حدثنا أن صاحبكم هذا (يعنون النبى صلى الله عليه وسلم) قد جاء بخير فهل عندك شىء تداويه قال فرقيته بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام كل يوم مرتين فبرىء فأعطونى مائتى شاة

فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته فقال خذها فلعمرى من أكل برقية باطل فقد أكلت برقية حق رواه أحمد وأبو داود ولفظ أبو داود (ثلاثة أيام غدوة وعشية كلما ختمها جمع بزاقه ثم تفل) قال ابن أبى جمرة ومحل التفل يكون بعد القراءة لتحصل بركة القراءة فى الجوارح التى يمر عليها الريق وفى قوله صلى الله عليه وسلم برقية باطل الخ أى برقية كلام باطل إشارة إلى أن الرقية منها حق ومنها باطل وهى التى اشتمل كلامها على ألفاظ محرمة أو مكروهة أنظر تمامه فى رسالة التوسل بالأنبياء والأولياء عليهم السلام لكاتب هذه السطور والأصل فى شرع هذه الأعمال كلها التعبد والتقرب إلى الله تعالى بنوافل الخير واستعمالها لاظهار أسرارها إنما هو لمجاراة الحق وامتثال أمره فى أوضاعه الالهية حيث ركب فيها من الأسرار ماشاء أن يركب وأمرنا باستعمالها لينتفع بها الناس فى دار الدنيا كما ينتفعون بها فى دار الآخرة ومن أفضلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الذى هو الواسطة العظمى لسعادة الخلق فى النشأتين

(الكلام فى الفضل الخاص بالصلاة الفتحية وإذن الشيوخ فى تلاوتها)

والفضل الخاص الذى أشار اليه السائل فى تلاوة الصلاة الفتحية وأن ثواب تلاوتها مرة مثلا يعدل كذا من الصلوات الأخرى أو أنها تقي صاحبها من النار كما نقل عن القطب البكرى لامانع منه لأن الصلاة الفتحية مأمور بها شرعا كسائر صيغ الصلوات من حيث إنها إحدى الكيفيات التى تؤدى بها الصلاة المأمور بها وقد ورد فى فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ماملئت به بطون الكتب وإذن الشيوخ ولحظهم للمريدين فى سيرهم إلى الله تعالى أنجع للنفوس من وعظ الواعظين كما قيل من لم ينفعك لحظه لم ينفعك وعظه فلا يسع أحدا انكاره وإنما الكلام فى العثور على الشيخ المتأهل للاذن على هذا الوجه فمتى صح أنه من الكمل وكان المريد متأهبا للفيض الأكمل فلا شك أن لاذنه ولحظه أثرا فى همة المريد ونيته وأن تلاوته مع الاذن لهذه الصيغة نور على نور تضاعف به

الأجور نعم لايجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجترىء على إطلاق القول بأن صلاة الفاتح أفضل من القرآن أو أن تلاوتها أفضل من تلاوته سواء أراد به معنى صحيحا أو لم يرد فان ظاهر الأول إن لم يكن كفرا فلم يرد اليه وظاهر الثانى يوهم أن صلاة الفاتح نفسها أفضل من نفس القرآن وفيه من البشاعة والاستخفاف بكلام الله تعالى وقرآنه المجيد مالا يخفى خصوصا فى إطلاق القول بأن تلاوتها مرة تعدل تلاوة القرآن ستة أو سبعة آلاف مرة كما نقله التجانية عن شيخهم وتقدم عن صاحب الجواهر نقل ماهو أوسع من ذلك فى شأنها وفى منتهى الخارف الجانى أن قولهم هذا كقولهم إنها من كلام الله القديم افتراء على الله داخل فى وعيد قوله تعالى « فمن أظلم ممن افترى على كذبا ليضل الناس بغير علم » وقوله تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح اليه شىء » لانه إذا ثبت أن من افترى على الله كذبا فى تحريم مباح استحق هذا الوعيد الشديد فمن افترى على الله الكذب فى مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والنبوات والملائكة ومباحث الميعاد كان وعده أشد وأشق كيف وقد أدخل فى كلام الله ماليس منه وفضل على كتابه الذى هو أفضل كلام ماهو أدنى منه وفى فتح البارى فى باب فضل القرآن على سائر الكلام قال أخرج الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب عز وجل من شغله القرآن عن ذكرى وعن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وروى الخطيب عن ابن عمر من قرأ القرآن فرأى أن من خلق الله تعالى من أعطى أفضل مما أعطى فقد صغر ماعظم الله وعظم ماصغر الله وساق أحاديث كثيرة فى هذا الباب تدل دلالة واضحة على أن القرآن كلام الله أفضل من كل كلام سواء كان من كلامه تعالى كالكتب السماوية والأحاديث القدسية أو من كلام النبوة أو من كلام غيرها نعم الاشتغال بالمأثور فى وقت أو حال أفضل من

الاشتغال بالقرآن فى ذلك الوقت أو الحال وليس ذلك من باب التفضيل بل هو
من باب الخصوصيات التعبدية الواقعة من الشارع لبعض الأذكار فى وقت
دون غيره من الأذكار والأوقات لسر يعلمه الله جل وعلا ومن خصه الله بالفتح
الربانى والتوريث الصمدانى ومن ذلك توظيف الأوقات بالأوراد والأحزاب
عند أهل الطريق فان ذلك لايتنافى مع أفضلية القرآن فى ذاته عن سائر الكلام
ولا أفضلية تلاوته على تلاوة سائر الأذكار فى غيرما ذكرنا خص بالتعبد فى أوقاته
المشروعة وإنما التنافى البليغ فى اطلاق تفضيل التجانية صلاة الفاتح على هذا
الوجه وما يوهمه حديث أبى بن كعب الذى رواه فى الشفا وأخرجه
الترمذى وقال حديث حسن صحيح وأحمد والحاكم وصححه من كون الصلاة
على النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأذكار الداخل فيها القرآن
فمحمول على ما إذا كان المقام للدعاء لأن الشارع إذا خص وقتا بعبادة تكون فيه
أفضل من غيرها كأذكار الركوع والسجود فانها أفضل من غيرها يعنى فيهما وإن
كان غيرها فى نفسه أفضل فالصلاة عليه لمن يريد الدعاء أفضل من لا إله إلا الله
على ان الظاهر أن قوله الداخل فيه القرآن ليس مصرحا به فى الحديث وإنما
هو لبيان معنى العموم وفرق بين التفضيل على الشىء فى ضمن العموم وبين التفضيل
عليه بخصوصه فيما يعود على المفضل من نقص أو كمال (ألم ترأن السيف ينقص
قدره إذا قيل هذا السيف خير من العصا) ويكمل إذا قيل خير من سائر آلات
الدفاع مثلا وقد سئل شيخ الاسلام السراج البلقينى عن قراءة القرآن وذكر الله
والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها أفضل فأجاب بأن كل واحد
منها أفضل في محله على ان الفضل الذى ذكروه لهذه الصيغة بل الفضل الوارد
فى سائر الأذكار والادعية ليس على عمومه وإنما هو لاهل الدين والكمال قال
ابن بطال الفضائل الواردة فى التسبيح والتحميد إنما هى لأهل الشرف فى الدين
والكمال كالطهارة من الحرام وغير ذلك فلا يظن ظان أن من أدمن على الذكر وأصر

على ماشاء من شهواته وانتهك دين الله وحرماته انه يلتحق بالمطهرين المقدسين ويبلغ منازل الكاملين بكلام أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح ويشهد له كما قال ابن حجر « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون » انتهى بتصرف وزيادة.
هذا ما تيسر بيانه لشرط نيل الثواب الخاص بصلاة الفاتح كتبناه قبل الوقوف على ما نقل عن الشيخ التجانى جوابا عن هذا التفضيل وأما شرط اعتقاد أنها من كلام الله تعالى فقد علمت ما فيه وأنه فرع ثبوت كونها من كلام الله وعلى فرض ان الشيخ التجانى ألهم أنها من كلام الله القديم فلا يطلب من غيره ان يقلده فى هذا الحكم الاعتقادى الذى يتوقف ثبوته على ثبوت أمر شرعى يطلبه ولو ضمن أمر عام وذلك لم يثبت كما تقدم بل ربما يقال ان الثابت فى قواعد الشرع خلافه فلا يجوز له ولا لغيره اعتقاده

(جواب الشيخ التجانى عن تفضيل صلاة الفاتح على تلاوة القرآن)

بعد الفراغ من تبييض المنهج فكرت فيما عزى إلى الشيخ التجانى من اطلاق القول بتفضيل صلاة الفاتح على تلاوة القرآن والمغالاة فى التنويه بشأنها على سائر الأعمال والأذكار ما عدا الذكر بدائرة الاحاطة وهو اسم الله الأعظم عندهم وقد جاء فى نفسى أنه لابد أن يكون لهذا المقال عند الشيخ التجانى مسوغ يستند إليه لأن مثل هذا لا يقوله الشيخ ولا غيره من قبل الرأى ولا هو من نوع الكلام الذى يصدر حال الغيبة والفناء حتى يكون من الشطح الذى يقع لبعض العارفين من الأولياء فرأيته أن أعيد النظر فى كتابى الجواهر والرماح وقد طال العهد بهما حتى إذا وجدت للشيخ التجانى أو لأحد أصحابه المعاصرين له أو أتباعه المتصدين لبيان مراده جوابا عن هذا التفضيل الشائن والاطلاق الموهم أثبته فى ثنايا المنهج تحت هذا العنوان كخاتمة تلحق بكتابها فتصفحت كتاب الجواهر أولا وإذا هو فى صحيفة ١٢٨ قسم تلاوة القرآن إلى أربعة مراتب وصرف هذا التفضيل عن ظاهره إلى

مرتبة من مراتبه نقلا عن الشيخ التجانى فقال قال رضى الله عنه

(الكلام على التفضيل بين الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم و بين تلاوة القرآن)

أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الكلام فأمر أوضح من الشمس كما هو معلوم فى استقراءات الشرع وأصوله شهدت به الآثار الصحيحة وتفضيله من حيثيتين : الحيثية الأولى كونه كلام الذات المقدسة المتصفة بالعظمة والجلال فهو فى هذه المرتبة لايوازية كلام والحيثية الثانية مادل عليه من العلوم والمعارف ومحاسن الآداب وطرق الهدى ومكارم الأخلاق والأحكام الالهية والاوصاف العلية التى لا يتصف بها إلا الربانيون فهو فى هذه المرتبة أيضا لايوازيه كلام فى الدلالة على هذه الأمور ثم ان هذين الحيثيتين لا يبلغ فضل القرآن فيهما إلا عارف بالله قد انكشفت له بحار الحقائق فهو أبدا يسبح فى لججها فصاحب هذه المرتبة هو الذى يكون القرآن فى حقه أفضل من جميع الأذكار والكلام لحوزه الفضيلتين لكونه يسمعه من الذات المقدسة سماعا صريحا لا فى كل وقت وإنما ذلك فى استغراقه وفنائه فى الله تعالى والمرتبة الثانية فى القرآن دون هذه وهى من عرف معانى القرآن ظاهرا وألقى سمعه عند تلاوته كأنه يسمعه من الله يقصه عليه ويتلوه عليه مع وفائه بالحدود فهذا أيضا لاحق فى الفضيلة بالمرتبة الأولى إلا أنه دونها والمرتبة الثالثة فى تلاوة القرآن رجل لايعلم شيئا من معانيه ليس له إلا سرد حروفه ولايعلم ماذا تدل عليه من العلوم والمعارف فهذا إن كان مهتديا كالأعاجم الذين لا يعلمون معانى العربية إلا أنه يعتقد أنه كلام الله ويلقى سمعه عند تلاوته معتقدا أن الله يتلو عليه تلاوة لايعلم معناها فهذا لاحق فى الفضل بهاتين المرتبتين إلا أنه منحط عنهما بكثير كثير بشرط أن يكون مهتديا موفيا بالحدود والواجبات غير مخل بشىء منها والمرتبة الرابعة رجل يتلو القرآن سواء علم معانيه أو لم يعلم إلا أنه متجرىء على معصية الله غير متوقف عن شىء منها فهذا لايكون القرآن فى حقه أفضل بل كل ماازداد

تلاوة ازداد ذنبا وتعاظم عليه الهلاك يشهد له قوله سبحانه وتعالى « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ماقدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً » وقوله سبحانه وتعالى « ويل لكل أفاك أثيم . يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم . وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين . من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم » وقوله تعالى « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين » وكل من يحفظ القرآن ولم يقم بحدوده فقد اتخذه هزواً وقوله صلى الله عليه وسلم (ما بال أقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويقولون بالقرآن ماوافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض الحديث) وأراد صلى الله عليه وسلم أنه يصدق عليهم الوعيد الذي في الآية قال تعالى « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب » وقوله صلى الله عليه وسلم (إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة عالما لم ينفعه الله بعلمه) وقوله سبحانه وتعالى « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » فمن ترك العمل بالقرآن فقد نسيه والوعيد ثابت عليه فمثل هذا لا يكون القرآن في حقه أفضل من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فأصحاب المراتب الثلاثة الأول القرآن في حقهم أفضل من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحب المرتبة الرابعة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في حقه أفضل من القرآن وبيان ذلك

أنه يزداد من الله تعالى بتلاوة القرآن طرداً ولعنا و بعـدا إلا أن يكون صاحب مرتبة إلهية فى الغيب مدخرة له فى المعرفة بالله العيانية فان كان بهذه المثابة وحاله فى المرتبة الرابعة كما ذكرناه فتمحى جميع ذنوبه فى الغيب وتكتب جميع تلاوته حسنات لأجل المرتبة التى حصلت من الله بطريق المحبوبية فان خلا عن هذه المرتبة فهو عند الله بين أمرين إما أن يعامله بالعفو فى الآخرة وعدم المؤاخذة بالعـذاب على ذنوبه لسبب من الأسباب المعلومة فى الغفران وهى كثيرة واما ان يناقشه ربه الحساب فى الآخرة ثم يقول له لنؤاخـذنك بها ذرة ذرة فصاحب هذه المرتبة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل له من تلاوة القرآن لكونه الله يصلى عليه بكل صلاة عشرا عشرا وجميع العالم فى كورة العالم عشرا عشرا لكل صلاة فيفوز بذلك بالسعادة الأبدية فان هذا الوعد من الله محقق الوقوع وهذا واقع لكل مطيع وعاص فكل من صلى عليه ربه وصلت عليه الملائكة فهو من أهل السعادة والغفران بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فان قلت الثواب المرتب على تلاوة القرآن إنما هو للقرآن فقط دون التالى وذلك حاصل فى تلاوته حتى من الفاسق . قلنا الجواب فى هذا الأمر محتمل أنه يكتب له من تلاوة القرآن لكن يظهر ابطاله من جهـة أخرى وهو عـدم عمله بالقرآن فان تلاوة القرآن مع عدم العمل هو المثل الذى ضربه الله تعالى لأهل التوراة فقال « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » ومعلوم أن الحمـار لانفع له فى حمل الأسفار على ظهره وقوله ثم لم يحملوها أى لم يعملوا بما فيها وقوله سبحانه وتعالى « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به » وحق تلاوته هو العمل بما فيه ومن أعرض عنه بعدم العمل فما تلاه حق تلاوته اه ماأملاه علينا شيخنا أبو العباس التجانى رضى الله عنه وأرضاه وقد علمت مافى هذا الحمل فانه مع بعده وانتقاصه لفضل صلاة الفاتح لايلائم عندهم حال الشيخ التجاني ولايدفع عنه لوم الايهام ثم قال رضى الله عنه القرآن أفضل الذكر لكن

السلوك به على شرط أن يقدر التالى نفسه فى نفسه أنه يشهد نفسه فى وقت التلاوة
أن الرب سبحانه وتعالى هو الذى يتلوه عليه وهو يسمع فان دام له هـذا الحال
واتصف به اتصل بالغناء التام وهو باب الوصول الى الله تعالى والسلام انتهى من
إملائه رضى الله عنه . ثم قال وسألته رضى الله عنه عن معنى صلاة الفاتح لما أغلق
فأجاب رضى الله عنه قال معناه الفاتح لما أغلق من صور الاكوان فانها كانت
مغلقة فى حجاب البطون وصورة العدم وفتحت مغاليقها بسبب وجوده صلى الله
عليه وسلم وخرجت من صورة العدم الى صورة الوجود ومن حجابية البطون
إلى نفسها فى عالم الظهور إذ لولا هو ماخلق الله موجودا ولاأخرجه من العدم
إلى الوجود فهذا أحد معانيه اهـ ثم ذكر لها معنى ثانيا وثالثا ورابعا فراجعه

(الكلام فى بروز الامر من الحضرة الالهية للأولياء)

وأما قول السائل ثم إن بروز الأمر من الحضرة القدسية للولى المتمكن من الكتاب
والسنة معروف وقد عدوه من كيفية أقسام الالهام للأولياء وهو معمول به عند
المحققين فقد تقدم أن هذا ظاهر فى الأمر المتعلق بأفعال المكلفين وجوبا أوندبا
أوما يشمل النهى عن الشىء لأنه أمر بضده وقد علمت أن هذا الأمر لا ينزل
على قلب ولى لا بلفظه ولا بكتابته إلا على وجه التعريف لما أجمل فى دلالة الكتاب
والسنة ثم لا بد من عرضه على الميزان العام وأنت خبير بأن هذا التتميم الذى نقله
السائل عن السيد العربى لا يلائم أصله فان موضوعه أن الفضل الخاص الذى تلقاه
الشيخ التجانى عن الحضرة المحمدية لا يحمل إلا مع الاذن واعتقاد أن الصلاة
الفتحية من كلام الله القديم وأين هذا من بروز الأمر الذى من شأنه أن يتعلق
بطلب الفعل وجوبا أو ندبا وتقدم أن خبر الصحيفة على فرض صحته ليس من
السنة التى يصح أخذ الأحكام الشرعية منها لأن السنة ما روى عنه صلى الله
عليه وسلم حال حياته من أقوال وأفعال وتقريرات وما يستنبط من ذلك على
الوجه المشروع وليس خبر الصلاة الفتحية من ذلك وأن بروز الأمر والنهى
للأولياء مستقلا عن أوامر الكتاب والسنة ممنوع قطعا لاختصاصه بالأنبياء

كما هو الحق المتفق عليه عند أهل الظاهر والباطن وقوله وفى اليواقيت والجواهر بعد ذكره لنحوما تقدم . قلت ما علامة كون تلك الكتابة التى فى الورقة النورانية من عند الله تعالى الخ قد علمت أن السائل قد اختذل عبارة اليواقيت والجواهر وأصلها كما هو فى مبحث الفرق بين الالهام والوحى اعلم أن وحى الأنبياء لا يكون إلا على لسان جبريل يقظة ومشافهة وأما وحى الالهام فيكون على لسان ملك الالهام وهو على ضروب كما قال الشيخ فى الباب الخامس والثمانين ومائتين فمنه مايكون متلقى بالخيال كالمبشرات فى عالم الخيال وهو الوحى فى المنام فالمتلقى حينئذ خيال والنازل كذلك والموحى به كذلك ومنه مايكون خيالا فى حس على ذى حس ومنه مايكون معنى يجده الموحى اليه فى نفسه من غير تعلق حس ولا خيال ممن نزل عليه ثم قال وقد يكون ذلك كتابة ويقع هذا كثيرا للأولياء وبه كان يوحى لأبى عبدالله قضيب البان كبقى بن مخلد تلميذ الامام أحمد رضى الله تعالى عنه لكنه كان أضعف الجماعة فى ذلك فكان لايجده إلا بعد القيام من النوم مكتوبا فى ورقة . فان قلت فما علامة كون تلك الكتابة التى فى الورقة من عند الله عز وجل حتى يجوز للولى العمل بها . فالجواب أن علامتها كما قال الشيخ فى الباب الخامس عشر وثلاثمائة أن تلك الكتابة تقرأ من كل ناحية على السواء لاتتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها قال الشيخ وقد رأيت ورقة نزلت على فقير فى المطاف بعتقه من النار على هذه الصفة فلما رآها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين فان وجدت تلك العلامة فتلك الورقة من الله عز وجل ولكن لايعمل بها إلا إذا وافقت الشريعة التى بين أظهرنا ثم قال وقد أطلعنى الله تعالى على الفرق بين كتابة الله تعالى فى اللوح المحفوظ وغيره وبين كتابة المخلوقين وهو علم عجيب رأيناه وشاهدناه اه وقوله فلما رآها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين لعله أراد المخلوقين من الانس والجن أما كتابة الملائكة أو الأرواح المجردة فهى من عند الله كما تقدم ثم قال فهل ينزل ملك

الالهام على أحد من الأولياء بأمر أو نهى . فالجواب أن ذلك ممتنع كما قال الشيخ الأكبر فلا ينزل ملك الالهام على غير نبي بأمر أو نهى أبدا وإنما للأولياء وحى المبشرات وهو الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له وهى حق ووحى غالبا لأنها غير معصومة اه ومن ذلك تعلم مافى قول السائل ان بروز الأمر من الحضرة القدسية الخ اللهم إلا أن يحمل على الأمر الالهى والفتح الربانى المتعلق بمعانى الكتاب والسنة كما يشير اليه قوله للولى المتمكن من الكتاب والسنة أو المتعلق بما وراء الأحكام الشرعية من المجاهدات وأسرارها ثم قال . فان قلت فهل يكون وحى المبشرات فى غير النوم كما هو فى النوم . الجواب نعم وعلى كل حال فهى رؤيا بالخيال وبالحس لا فى الحس والمتخيل قد يكون من دخل فى القوة وقد يكون من تمثل روحانى وهو التجلى المعروف عند القوم إذا كان المزاج مستقيما متهيئا للحق وهو خيال حقيقى اه وأطال الشيخ فى ذلك وهذا هو السر فى أنه لا يعول عليه إلا بالميزان كما تقدم ثم قال فان قلت إن بعضهم يقول إذا اعترض عليه فى فعله أمراً من الامور مافعلت ذلك إلا بأمر من الله تعالى كما نقل عن سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه أنه ماقال قدمي هذه على عنق كل ولى لله إلا بعد أمر الحق له بذلك فهل ذلك صحيح ؟ فالجواب الأمر بذلك غير صحيح ولعل الناقل لذلك اشتبه عليه الاذن بالامر إذ الاذن يطلق على المباح شرعا بخلاف الامر فانه تشريع جديد يقتضى عصيان من خالفه وقد قال الشيخ محيي الدين فى الباب الثانى والعشرين من الفتوحات من قال من الأولياء إن الله تعالى أمره بشيء فهو تلبيس لان الامر من قسم الكلام وصفته وهذا باب مسدود دون الاولياء من جهة التشريع وإيضاح ذلك أنه ليس فى الحضرة الالهية أمر تكليفى إلا وهو مشروع فما بقى للاولياء إلا سماع أمرها فاذا أمرهم الانبياء بشيء كان لهم المفاجأة واللذة السارية فى جميع وجودهم لا غير ومعلوم أن المفاجأة لا أمر فيها ولا نهى وإنما هى حديث وسمر وكل من قال من أهل الكشف إنه مأمور بأمر إلهى مخالف لأمر شرعى

محمدى تكليفى فقد التبس عليه الأمر و إن كان صادقا فيما قال إنه سمعه قال ويمكن أن بعض الاولياء يكشف الله عن قلبه الحجاب و يقيم له مظهرا محمديا فيسمع فيه أمر الحق ونهيه لمحمد صلى الله عليه وسلم فيظن أن الحق سبحانه كلمه وهو إنما كلم روح محمد صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك من باب التعريف بالأحكام الشرعية لا شرعا جديدا وقول السائل فهل يصح الخ قد علمت مما أشرنا إليه فى صدر المقال أن السائل لو صدر السؤال بنقل الشيخ على حرازم عن أستاذه الشيخ التجانى وأتبعه بما فى كتاب الافادة الأحمدية ثم ساق النقول الأخرى بعده بدون استناد بعضها لبعض وصاغ السؤال هكذا فهل هذه النقول يصح أن يعتمد عليها فى القول بأن صلاة الفاتح من كلام الله القديم وعلى فرض إفادتها ذلك فهل شرط الاذن والاعتقاد المذكورين لنيل الثواب مسلم لكان له وجه و بعد هذا كله فالأجدر بالمنهج أن يقدم لاخوانه التجانية نصيحة إذا قبلوها استراحوا واستراح الناس من القيل والقال والمراء والجدال وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا

(والدين النصيحة)

فقد أخرج مسلم وأبو داود والنسائى عن تميم الدارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله قال لله تعالى ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم قال ابن الأثير النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة معان هى ارادة الخير للمنصوح له و بعبارة أخرى تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه وبعبارة أخرى خلوص المحبة للمنصوح والتحرى فيما يستدعيه حقه وعلى ذلك حمل الحديث المذكور فتختلف النصيحة فيه باختلاف المتعلق فالنصيحة لله صحة الاعتقاد فى وحدانيته و إخلاص النية فى عبادته والنصيحة لكتابه هى التصديق به والعمل بما فيه ومنه كما قال الامام النووى وغيره تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وإقامة حروفه والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين

والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله والاعتبار بمواعظه والتفكر فى عجائبه
والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم التصديق
بنبوته ورسالته والانقياد لما أمر به ونهى عنه ولأئمة المسلمين أن نطيعهم فى الحق
ولا نرى الخروج عليهم خشية أن يتفاقم الشر والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم
إلى المصلحة وهدايتهم إلى ما فيه درء المفسدة فعملا بهذا الحديث نقول لاخواننا
التجانية لا داعى إلى هـذا المراء والجـدال والاشتغال بالقيل والقال والدفاع
عن أمور أذاعتها كتب أسلافكم إذاعة لا مبرر لها عن شيخكم وقد يكون بريئا
منها وأنتم ليس لكم علم بأحواله المعزوة اليه تعتمدون عليه سوى هذه الكتب
التى لو وزن ما فيها من الأقاويل والدعاوى التى نبهنا على نبذة منها بميزان الشرع
القويم والقسطاس المستقيم لظهر لكم أنها ليست من الدين فى شىء وحاشا أهل
الطريق وسادة القوم أن يرضوا باسنادها إليهم فضلا عن إذاعتها والتمدح بنسبتها
وعدها من الخصائص والفضائل والأجدر بكم إذا أردتم أن تكونوا على بينة
من أمركم أن تسارعوا إلى اطفاء فتنة هـذه الكتب الواصمة لشيخكم وإذا كان
لابد لكم من التنويه بشأنه وشأنكم فلخصوا منها ملخصا وافيا بترجمته ترجمة مفهومة
للناس خالصة من شوائب اللبس والالباس خالية من كل ما يفهم الدعوى أو يوهم
مالا يليق بتعظيم العلى الأعلى بعيـدة عن كل ما يخالف أحكام الشرع وآدابه
إذا فعلتم ذلك واخفيتم أصول هـذا الملخص الوافى وأخرجتموه كتابا هاديا
للناس جامعا لفضائل أبى العباس فقد سارعتم إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
السموات والأرض أعدت للمتقين وكنتم بلا ريب بارين بشيخكم واعترف جميع
الناس بفضله وفضلكم وبذلك تكونون قد قمتم بواجب النصيحة المشروعة على
أنكم تعلمون كما يعلم الناس أن أهل الطريق لم يخلقوا للجدال والمراء وإنما خلقوا
للجهاد فى الله حق جهاده وإرشاد العامة لما فيه سعادتهم فى هذه الدار ودار
الجزاء «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين»

وفى الخبر أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم وعن على رضى الله عنه خاطبوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله كما تعلمون أن من الآداب الأكيدة عند القوم أن لايذكر المريد استاذه بحضرة من لايقدره حق قدره فكيف باذاعة هذه الأقاويل الداعية للخوض فى حقه وانتهاك حرمته وفى الحديث إذا صح «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم» وان أقل مافى هذه الكتب أنها قد أضرت بكثير من الاخوان فى عقائدهم وأعمالهم وأبعدت فريقا من الناس عن حسن الظن بالشيخ التجانى وأصحابه ومن ينتمى إلى طريقته أما تعلمون أيها التجانية أنكم فى زمان لابطان لأهله يسع فرائض الدين فضلا عما اختص به أكابر القوم وتواصوا بكتمانه جيلا بعد جيل . هذه نصيحتى أقدمها لكم فان اتبعتموها فقد اتبعتم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن يتبع ذلك فقد هدى إلى صراط مستقيم وفى هذا القدر كفاية ونسأل الله لنا ولكم الهداية

وهنا يجدر بالمنهج أن يختم بيانه بذكر نبذة تتعلق بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم رجاء حسن الختام ببركة سيد الانام عليه وعلى سائر الأنبياء أفضل صلاة وأزكى سلام

(خاتمة فى الكلام على الصلاة المأمور بها فى آية الأحزاب)

تقدم أن المراد بالصلاة المأمور بها فى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » الدعاء له صلى الله عليه وسلم بمادة الصلاة الدالة على طلب التعظيم لشأنه من الله عز وجل لقصور وسع المؤمنين عن أداء حقه عليه الصلاة والسلام وقد جاء ذلك على عدة أوجه أخرج عبد الرزاق وابن أبى شيبة وغيرهم عن كعب ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رجل يارسول الله أما السلام عليك فقد علمناه فكيف الصلاة عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد وفى رواية اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمداً وآل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت ورحمت وباركت على ابراهيم

وعلى آل ابراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد وفى رواية عن ابن مسعود اذا تشهد
أحدكم فى الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمداً وآل محمد
كما صليت ورحمت على ابراهيم الحديث وروى عن ابن حميد الساعدى بصيغة
أخرى وعن غيره وغيره بصيغ متعددة وكلها فى هذه النازلة لا تخرج عن الصلاة
الابراهيمية والحامل لهم على السؤال أنهم لما سمعوا الأمر بالصلاة بعد سماع آية
« ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما »
وفهموا أن الصلاة منه عز وجل ومن ملائكته عليه صلى الله عليه وسلم نوع من
التعظيم لائق بشأن ذلك النبي الكريم لم يدروا ما اللائق منه من كيفيات تعظيمه
صلى الله عليه وسلم فسألوا عن كيفية ذلك التعظيم فأرشدهم عليه الصلاة والسلام
إلى ما علم أنه أولى أنواعه وهو بهم رؤف رحيم فقال صلى الله عليه وسلم قولوا
اللهم صل على محمد إلى آخر ما جاء فى الروايات الصحيحة وفيه إيماء إلى أنهم
عاجزون عن التعظيم اللائق به صلى الله عليه وسلم فأمروا بطلبه من الله عزوجل
ومن هنا يعلم أن الآتى بما أمر به من طلب الصلاة له صلى الله عليه وسلم منه
عز وجل آت بأعظم أنواع التعظيم لتضمنه الاقرار بالعجز عن التعظيم اللائق به
صلى الله عليه وسلم ومقتضى ظاهر هذا الارشاد أنه لا يحصل امتثال الأمر الا بما
فيه طلب ذلك منه عز وجل ويكفى اللهم صل على محمد لأنه الذى اتفقت عليه
الروايات فى بيان الكيفية ولأنه متضمن للايماء المذكور ولهذا كانت خصوصية
الانشاء لفظا ومعنى غير لازمة وحينئذ فالمصلى عليه حقيقة هو الله تعالى وتسمية
العبد مصليا عليه مجاز عن سؤال الصلاة من الله تعالى والظاهر أنه لا يحصل
الامتثال بنحو اللهم عظم محمدا التعظيم اللائق به مما ليس فيه مادة الصلاة كصل وصلى
فانا لم نسمع أحدا عد قائل ذلك مصليا عليه وذكروا أن أفضل الكيفيات فى الصلاة
عليه ﷺ ما علمه لأصحابه بعد سؤالهم إياه لانه لا يختار لنفسه ﷺ الا الاشرف
والافضل كما ذكروا أن الاتيان بصيغة الطلب أفضل من الاتيان بصيغة الخبر

والظاهر أن هذا وذاك محله مالم يكن هناك داع الى العدول عن المأثور إلى غيره أو عن صيغة الانشاء إلى صيغة الخبر كما يؤخذ مما ذكروه فيما اطبق عليه المحدثون من الاتيان بصيغة الخبر مجردة عن الصلاة الابراهيمية حيث قالوا إن صلاتهم فى الاغلب أثناء الكلام الخبرى نحو قال النبى صلى الله عليه وسلم كذا وفعل صلى الله عليه وسلم كذا فأحبوا أن لايكثر الفصل وأن لايكون الكلام على أسلوبين لما فى ذلك من الخروج عن الجادة المعروفة اذ قلما تجد فى الفصيح توسط جملة دعائية إلا وهى خبرية لفظا مع احتمال تشوش ذهن السامع وبطء فهمه وحسن الافهام مما يجمل مراعاته ونقل عن جمع من الصحابة ومن بعدهم أن كيفية الصلاة عليه لايوقف منها على المنصوص وأن كل من رزقه الله تعالى بيانا فأبان عن المعانى بالالفاظ الفصيحة المبانى الصريحة المعانى مما يعرب عن كمال شرفه صلى الله عليه وسلم وعظيم حرمته فله ذلك واحتج له بما روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال إذا صليتم على النبى صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فانكم لاتدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد انظر روح المعانى فى تفسير آية الصلاة وظاهر أن أمر ابن مسعود رضى الله عنه للناس باحسان الصلاة وتعليمه إياهم هذه الصيغة المغايرة لسائر الصيغ الواردة عنه صلى الله عليه وسلم يدل دلالة واضحة على أن ماورد عنه صلى الله عليه وسلم من الصيغ الابراهيمية ليس موضع تعبد بحيث يتوقف امتثال الامر فى الآية عليه اذ لوكان كذلك لما كان هناك إحسان بعد إحسانه صلى الله عليه وسلم يأمر به ابن مسعود رضى الله عنه على أن ماورد عنه صلى الله عليه وسلم يجوز أن يكون بيانا لما هو الاكمل فى تشهد الصلاة ذات الركوع والسجود وعلى

هذا الاصل المنقول عن الصحابة المؤيد بما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه وبما أطبق عليه المحدثون بنى السادة الصوفية وغيرهم ماعنوا به من تأليف الصيغ العديدة فى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وجمعها فى أذكارهم وأورادهم حسبما أرشد اليه الفتح الصمدانى والالهام الربانى ومن ذلك صلاة أبى الفتيان سيدى أحمد البدوى وصلاة العارف بالله تعالى سيدى عبدالسلام بن مشيش وصلاة أبى العينين سيدى ابراهيم الدسوقى والصلاة الفتحية المنسوبة إلى القطب البكرى رضى الله تعالى عنهم أجمعين وصلاة أبى البركات سيدى أحمد الدردير العدوى المشهورة بالديار المصرية وغيرها فقد بدأها رضى الله عنه بسبعات قرآنيـة وأذكار نبوية ثم ثنى بمجموعة صلوات أهل الفيض والعرفان كصلاة القطب العيدروس وصلاة من ذكروا وختمها بمجموعة صيغ من تأليفه مرتبة على نمط الحروف الهجائية إذا علمت هـذا علمت مافى قول بعضهم إن سائر الصلوات أى الواردة عن القوم وغـيرهم من البدع المنكرة الخارجة عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه بعيد عن الدين لايصدر إلا ممن لايفرق بين السنة والبدعة فى شريعة المسلمين وكذلك الطعن فى حـديث ابن مسعود بأن فيـه من لايوثق بروايته فلايعمل به طعن من لايفرق بين مايعمل به وما لايعمل فى مثل هـذا الموضوع لأنه على فرض أن الحديث فيه ماذكر فهو معضد بتضافر العلماء على عدم الفرق فى امتثال الأمر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بين المأثور وغيره من الصلوات كما علمت وعلى أن باب الرغائب والحمائد يعمل فيه بالاحاديث الضعيفة المعضدة بالعمومات الواردة فى هذا الباب كتابا وسنة ولعل هذا القائل يظن أنه متى اشتمل سند الحديث على راو متكلم فى روايته يكون الحديث موضوعا أو كالموضوع لايجوز العمل به مطلقا ولو فى فضائل الأعمال ولو عضده عموم أو حديث آخر أو اجماع أوقياس وليس كذلك بل غايته أن يكون الحديث ضعيفا عن رتبة الصحيح والحسن عند أهل الحديث دراية ورواية على أن الأمر فى آية

الصلاة « يأيها الذين آمنوا صلوا عليه » مطلق لم يقيد حكمه بصيغة مخصوصة كآيات الدعاء « أدعونى أستجب لكم » « وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » والسنة لم تعين صلاة مخصوصة ولادعاء كذلك وتعليم الصحابة الوارد فى الصلاة كتعليمهم فى الدعاء لادلالة له على التعيين إذ لم يقل أحد من الصحابة فمن بعدهم إلى وقتنا هذا أن امتثال الأمر فى آيتى الصلاة والدعاء موقوف على صيغ معينة بل ثبت أن لأبى بكر دعاء غير دعائه صلى الله عليه وسلم ولعمر وعلى وعثمان وعائشة وفاطمة وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أدعية غير أدعيته صلى الله عليه وسلم كما ثبت لهم ولغيرهم صلوات أخرى بل ثبت عنه صلى الله عليه وسلم صيغ فى الصلاة عليه غير صيغ التعليم المشار اليها ففى كشف الغمة عن جميع الأمة للامام أبى المواهب سيدى عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله مايفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم فى تعليمه لكيفية الصلاة عليه لم يقتصر على الصلاة الابراهيمية بل كما ذكرها بصيغ متعددة مختلفة باختلاف السائلين أو الجالسين ذكر غيرها بصيغ لم تشمل الصلاة على سيدنا ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام بل مرة أطلق ومرة قيد بغيرها ومرة جمع فقد قال فى باب الأمر بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والترغيب فى حضور المجالس التى يصلى فيها عليه وماجاء فى التحذير من تركها وغير ذلك كان أبوهريرة رضى الله عنه يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صلوا على فان الله عز وجل يصلى عليكم وكان صلى الله عليه وسلم يقول أكثروا من الصلاة على فان أول ماتسئلون فى القبر عنى وكان صلى الله عليه وسلم يقول إذا صليتم على فقولوا اللهم صل على محمد النبى الأمى وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم الخ وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف الصلاة عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل اللهم صل على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة فمن قال ذلك وجبت له شفاعتى وكان صلى

الله عليه وسلم يقول من قال جزى الله عنا محمدا صلى الله عليه وسلم بما هو أهله أتعب سبعين ملكا ألف صباح وكان صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على روح محمد فى الأرواح وعلى جسده فى الاجساد وعلى قبره فى القبور رآنى فى منامه الحديث وكان صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم إنك حميد مجيد وكان صلى الله عليه وسلم يقول لاتصلوا على الصلاة البتراء قالوا وماالصلاة البتراء يارسول الله قال تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقيل له من أهلك يارسول الله قال على وفاطمة والحسن والحسين وجاء رجل مرة فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد فقال السلام عليكم ياأهل العز الشامخ والكرم الباذخ فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبى بكر رضى الله عنه فعجب الحاضرون من تقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن جبريل عليه السلام أخبرنى أنه يصلى على صلاة لم يصلها على أحد قبل فقال أبو بكر كيف يصلى يارسول الله قال يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فى الأولين والآخرين وفى الملأ الاعلى إلى يوم الدين وكان صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء وأعطه الوسيلة والمقام الذى وعدته وجبت له شفاعتى الى آخر ماذكره فى هذا الباب وفى الشفا للقاضى عياض أن ابن عباس رضى الله عنهما كان يقول عند الدعاء اللهم إنى أسألك أن تصلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك أفضل ماصليت على أحد من خلقك أجمعين ومنه تعلم أن إحسان الصلاة الذى أشار اليه ابن مسعود فى الحديث المار شامل لكل إحسان سواء كان بحسن البيان الدال على كمال تعظيمه صلى الله عليه وسلم أو بجمع الصلاة على سيدنا ابراهيم عليه السلام مع الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى صيغة

واحدة أو بغير ذلك من الوجوه التى يمكن استنباطها من اختلاف بيانه صلى الله عليه وسلم حسب مقام خطابه وما يفاض من جوامع الكلم ومعانيه المقتبسة من أنواره صلى الله عليه وسلم

(فوائد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم)

وقد ذكروا للصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغ ونحوها فوائد جمة حسبما الهموا به من الفيض الالهى والكشف الربانى فقد قيل فى صلاة القطب العيدروس المسماة بالكنز الأعظم أن من قرأها حيل بين قلبه و بين وساوس الشيطان ومن قرأ بعد صلاة العشاء سورة الاخلاص والمعوذتين ثلاثا ثلاثا وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بها رأى النبى فى المنام ومن قرأ صلاة أبى الفتيان ثلاثة أيام كل يوم مائة مرة عقب صلاة الصبح قبل أن يتكلم مع أحد فان الله تعالى يأتيه بالفرج القريب وتقضى حوائجه باذن الله تعالى والحذر الحذر من قراءتها بلا وضوء كرؤيته صلى الله عليه وسلم وتقول فى أول مرة بسم الله الرحمن الرحيم و بعضهم ذكر أنها تقرأ عقب كل صلاة سبعا وأن المرة منها بثلاثة وثلاثين مرة من دلائل الخيرات وذكروا فى الصلاة الطبية وهى اللهم صلى على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها وعلى آله وصحبه وسلم أن من قرأها أربعمائة مرة على مريض بأى مرض كان شفى باذن الله تعالى و بالجملة فثواب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وفوائدها لايحصيها العد وبالغ بعضهم فى فضلها حتى قال لو كانت البحار مدادا والاشجار أقلاما وجميع خلق الله كتابا لنفد المداد وتكسرت الاقلام ولم تبلغ مقدار ثواب فضل الصلاة والسلام على خير الانام وحسن الظن بالله تعالى وفضله الواسع لايضيق عن هذه التقديرات الغيبية التى لاتدرك إلا بالكشف والالهام كرامة وتعظيما لنبيه صلى الله عليه وسلم فتسليمها لاهلها أسلم والله واسع العطاء وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم مايفتح الباب لاهل الكشف أن يحدثوا عن هذا الفيض العميم فمن ذلك

ماروى عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى
على مرة صلى الله عليه عشر مرات ومن صلى على عشر مرات صلى الله عليه
مائة مرة ومن صلى على مائة مرة صلى الله عليه ألف مرة ومن صلى على ألف مرة
حرم الله جسده على النار وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند
المسألة وأدخله الجنة وجاءت صلاته على نورا له يوم القيامة على الصراط المستقيم
مسيرة خمسمائة عام وأعطاه الله بكل صلاة قصراً في الجنة قل أوكثر وفي رواية
إن العبد المؤمن أو الامة المؤمنة إذا بدأت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فتحت له أبواب السما كلها والسرادقات حتى تصل إلى العرش فلا يبقى ملك في
السموات إلا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويستغفرون لذلك العبد أو الامة
المؤمنة إلى غير ذلك من الروايات الواردة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم وهي كثيرة جداً وإن كان بعضها لايخلو من ضعف إلا أنه يعمل به في فضائل
الاعمال وكلها منوهة بشأن النبي صلى الله عليه وسلم ومرغبة في الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم وكفى بتعظيم قدره وشرف ذكره هذه الآية « إن الله وملائكته
يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » واعلم أنه ينبغي للمصلي
على النبي ص . بأى صيغة كانت أن ينطق بالحروف كاملة من مخارجها ويرتل
القراءة ولا يعجل باللفظ فقد نقل سيدى عبد الوهاب الشعراني في طبقاته الكبرى
عن سيدى محمد بن أبي الوفاء أنه كان يقول استعجلت مرة في صلاتي عليه صلى
الله عليه وسلم لا كمل وردي وكان ألفا فقال صلى الله عليه وسلم أما علمت أن العجلة
من الشيطان فقال قل اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد بتمهل وترتيل
إلا إذا ضاق الوقت فما عليك إذا عجلت وتقدم عن ابن بطال أن الفضائل الواردة
في التسبيح والتحميد ونحوها سرا وأجرا إنما هي لأهل الشرف والدين لا لكل
من هب ودب ولمعصية الله ارتكب كما يشير إليه قوله تعالى « أجيب دعوة الداع
إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » والأجدر بمقام الترغيب

فى الصلاة على الحبيب صلى الله عليه وسلم الاطلاق وفضل الله واسع والامر موكول لمشيئة رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وما تقدم من أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من قبيل الدعاء داخلة فى عموم قوله تعالى « أدعونى أستجب لكم » فما قيل فى الدعاء وإجابته وآدابه وشروطه يقال فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فذلك إنما هو بالنسبة إلى ماللداعى من سر وأجر فاذا تأخر عنه ظهور السر والاجر أو تخلف فذلك لفقد شرط أو وجود مانع أما بالنسبة له صلى الله عليه وسلم فالصلاة عليه مستجابة مطلقا ومع ذلك فالامر موكول إلى مشيئة من بيده ملكوت كل شىء يفعل مايشاء ويختار ولا يختار لنبيه الا ماهو الاكمل والله أعلم وفى هذا القدر كفاية والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والناصر الحق بالحق والهادى إلى الصراط المستقيم تم تحريراً صبيح يوم الاثنين غرة ربيع الاول سنة ١٣٥٤ على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى مولاه الرؤف محمد حسنين مخلوف العدوى المالكى غفر الله له ولوالديه ولمشائخه وإخوانه وأصحاب الحقوق عليه وجميع المسلمين آمين .

(القول فى جواهر المعانى واصطناعه)

وبعد ختم المنهج على هذا الوضع والعزم على تقديمه للطبع رأيت فى مجلة الفتح عدد يوم الخميس ٢٠ صفر سنة ١٣٥٤ مايفيد أن كتاب جواهر المعانى المنسوب للشيخ على حرازم الذى عولنا عليه فى التعريف بالشيخ التجانى وأقاويله التى أذاعها عنه أصحابه وأهل طريقته ليس من وضعه ولا أصله مؤلف لاجله فاستغربت كثيراً وترددت فى ضمه إلى المنهج لختمه بما رجوت به حسن الخاتمة ثم رأيت أن أضعه فى صحيفة تالية على حدته رجاء أن يكون تمهيداً لقبول النصيحتين والله الموفق للطاعتين يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم وهذا نصه

(كتاب جواهر المعانى مسروق)

منذ أخذ الفتح الاسلامى على نفسه أنه ينصح إلى هذه الامة المسكينة و يبين لها فضائح الطريقة التجانية ، ودخائلها السياسية والشرعية كنت أتتبع ما ينشر فى هذا الموضوع على وجه خاص وأعجب كثيرا من محاولة المفتونين أوالفاتنين بالتجانية تأويل أباطيل ظاهرة واضحة انطوت عليها كتبها فى أماكن منها لا يأتى عليها العد ولا ينفع فيها الحصف والترقيع ولا يخلص منها بين يدى الله عز وجل فى الموقف الاكبر براءة صورية فرعية لا تقدم فى الامر ولا تؤخر ، وأعجب من ذلك أنى لم أرمن المنتسبين إلى تلك الطريقــة ، وفيهم علماء فضلاء من تبلغ به الشجاعة إلى إيثار الشرع المحمدى على الطريق التجانى فيجهر باستعمال علمه فى الحكم على تلك الكتب وأصحابها والبراءة منهم والاعراض عنها ونهى الناس عن إعادة طبعها قطعا لجرثومة الفساد وأغلب الرأى أنهم فى حالة نوم مغناطيسى لا يستيقظون منه إلا إذا آن أوان الهداية والهدايه من الله

والآن أحب أن أفاجئهم بشىء جديد عن سلف هذه الطريقة ليعلموا منه أنهم كانوا لصوصا إذا لم يشاءوا أن يعلموا أنهم كانوا يكتبون الكفر و يوالون أهله

إن كتاب جواهر المعانى وهو عمدة الطريقة التجانية ودستورها الاعظم الذى طالما دافع عنه مريدوها دفاع المستميت وسلقوا كل منتقد له بألسنة حداد أشحة على الخير لم يؤلف فى فيوضات الشيخ التجانى كما كانوا يزعمون ولم يؤلفه تلميذه الشيخ على حرازم كما ادعى ذلك وأقره عليه شيخه و زعم فيه المزاعم التى لا آخر لها ، و إنما هو كتاب لم يقدر مؤلفه أمانة العلم حق قدرها حيث أغار على كتاب « المقصد الاحمد فى التعريف بأبى عبد الله أحمد » : لمؤلفه الشيخ عبد السلام بن الطيب القادرى الحسنى ، ذلك الكتاب المطبوع حديثا فى فاس بمطبعتها الحجرية فهو النسخة الاصلية لكتاب « جواهر المعانى » حرفا بحرف فى أهم مضامينه المرادة بالتأليف والتصنيف ولا يختلف عنه إلا فى تغيير المعالم وتزوير الاسماء فغير اسم الكتاب من «المقصد الاحمد » إلى جواهر المعانى « و بدل جملة

« فى التعريف بابن عبد الله أحمد » بجملة « فى فيض أبى العباس التجانى » وغير اسم المؤلف الاول الشيخ عبد السلام بن الطيب القادرى باسم المؤلف الثانى على حرازم . وقد اتفق الكتابان فى المبانى والمعانى لولا تحريف مقصود ونسخ وسلخ معدود سلمت منه الخطبتان فلم تمسا بأذى من تبديل أو تغيير

أما تاريخ تأليفهما ومؤلفيهما فكما يأتى —

كتاب المقصد الاحمد (١) كان تأليفه سنة ١٠٩٤ هـ وولادة المؤلف له أبى عبد الله أحمد عام ٩٧٨ وكان تأليف كتاب جواهر المعانى سنة ١٢١٤ وولادة التجانى المؤلف له « ادعاء » سنة ١١٥٠ فيكون بين تأليف الكتابين ١٢٠ عاما و بين المؤلف لها ١٧٢ عاما و بهذا لا يسع اخوان الطريقة التجانية إذا اجتنبوا التعصب وقمعوه إلا الايمان معنا بأن كتاب جواهر المعانى مسروق قطعا وما كان بالأمس مستورا تحت طى الخفاء ظهر اليوم للعيان ظهور الشمس فى كبد السماء

ومهما تكن عند امرىء من خليقة * و إن خالها تخفى على الناس تعلم

دلس « الجزائر » « حمزة بكوشة »

ومما جاء تحت هذه الصحيفة تعليقا على كتاب المقصد الاحمد ظفرت بهذا الكتاب بمكتبة الشيخ الطيب العقبى فتصفحته وقابلته بجواهر المعانى فاذا به هو هو وقد كتب مصحح المطبعة الجرية فى آخره ما نصه حرفيا قد صححت هذا الكتاب على مبيضة المؤلف حرفا حرفا من أوله إلى آخره وعليها خط حفيده العلامة الحافظ النسابة سيدى محمد بن الطيب بن عبدالسلام وهى نسخة عتيقة مكتوبة سنة ١٠٩٤ وجدناها بخزانة الفقية العلامة الوزير الخطيب المصقع النحرير المرحوم أبى محمد سيدى عبدالله الفاسى الفهرى وقد بذلنا المجهود فى التصحيح والمقابلة جهد الاستطاعة ووافق الفراغ من طبعه منتصف جمادى الثانية سنة ١٣٥١ هـ على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

هذا ما نشرته جريدة الفتح متعلقا بكتاب جواهر المعانى أثبتناه بنصه ليطلع عليه الناظر بعد الفراغ من المنهج وعلى منواله كتاب الرماح وهما عمدة التجانية فى

بيان فضائل الشيخ التجانى واختصاصاته وأحواله وآداب طريقته فاذا أخذ التجانية بهذا وبالنصيحة المتقدمة وخير لهم أن يأخذوا بهما فقد كفى الله المؤمنين شر القتال وكان الله قويا عزيزا وإن لم يأخذوا بهما وأصروا على الأخذ بما فى هذين الكتابين من غث وثمين فلهم مع الله جل شأنه موقف « يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون »

تحريرا فى ليلة الثلاثاء ٩ ربيع أول سنة ١٣٥٤

محمد حسنين

(نصيحة الذاكرين للعارف بالله تعالى سيدى أحمد شرقاوى)

قد عنّ لنا أثناء طبع المنهج أن نتبرك باعادة طبع نصيحة الذاكرين لأستاذنا وولى نعمتنا أبى المعارف سيدى أحمد شرقاوى التى وضعها سنة ١٢٩١ فكانت للذاكرين فتحا مبينا وللمريدين والمرشدين هديا قويما وكان لنا الشرف الأكبر والفخر الأعظم أن علقنا عليها شرحا نفيسا باشارته أيام الفسحة الرجبية إذ كنت فى الصعيد السعيد بمنزله تحت رعايته ، وقد تم تحريره ليلة عيد الفطر المعظم سنة ١٣١٠ بمعونة الله وفضله وعند ختامه سميته عمدة الناسكين ونصرة السالكين بشرح نصيحة الذاكرين وإرغام المكابرين ونسأله جل شأنه أن يوفقنا لطبعه ونشره وهذا نص النصيحة المباركة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أباح أهل الذكر فردوس الشهود وأطلع شموس أهل السر على صفحات الوجود فاستنارت بهم البقاع الحوالك واستبانت بهم إلى الله المسالك فرأبوا بهديهم ثأى الكون وأنقذوا الغراء من الهون بالعون مستمسكين بسنة جمال الكونين متبرئين من كل حدث بالأصغرين والصلاة والسلام على مالك أزمة أهل الحضرة الجبروتية وإمام كل مقتدى به ممن اتصف بالقبلية والبعدية وعلى آله وأصحابه الذين شدوا مآزرهم على اتباعه فى القول والفعل وعقد الطوية وعلى

من قفا سننه واتبع سننه بحسن النية « أما بعد » فيقول عبد مولاه كسير القلب مما جناه قليل الزاد ليوم الميعاد محسوب الجناب الحفناوى أحمد بن شرقاوى إنه لما طوقنى أستاذى بطوق الارشاد وسدت غير مسود بين العباد اجتمع معى خلق كثيرون على ذكر الجليل ليظفروا بالدرجات العلى والثواب الجزيل وسلموالى قيادهم وطلبوا منى إرشادهم فوجدت الذكر الذى عليه أكثر الناس مقيمون وعلى استحسانه متواطئون ومتفقون مشتملا على تقطيع كلمة التوحيد وقصر علم الحق المجيد حتى صارت الكلمة المشرفة هكذا لو و والو وو هايلا اللووووا ه وصار العلم الشريف الله بدون ألف بعد اللامين وربما مدوا همزته وأبدلوا هاءه واوا فيصير علم الذات الاقدس هكذا آللو وذلك ممنوع بنصوص الاعلام فلا ثواب فى تكراره ولا إكرام ورأيت إقرار إخوانى عليه مع علمى بما فيه غشالهم فى الديانة وغرورا بهم وخيانة وخشيت أن أقع فى الوعيد المشتمل عليه قوله عليه الصلاة والسلام من غشنا فليس منا فغيرت هذا الاسلوب العقيم بذكر على أقوم هيئة وأحسن تنظيم وأمرت كل موفق يريد الفوز بصلات الغفار بالاقتصار عليه ونهيته عن ذاك الذكر الضار فجاء أقوام يريدون اطفاء نور ذى الملك والملكوت متمسكين بما هو أوهى من بيت العنكبوت فتارة يقولون الذكر مندوب اليه كتابا وسنة فكيف تحكمون بتحريمه فنقول لهم ماهذه المكابره وماهذه المغالطة الظاهرة نحن حكمنا بتحريم تقطيع أسماء الله تبارك وتعالى ولم نحكم بتحريم أصل الذكر كيف وفى استعماله ابتهاجنا وبه الى الله سيرنا وانتهاجنا وبه أنسنا وانشراحنا وفيه غدونا ورواحنا وقد اشتهرت اليه نسبتنا وانتشرت به طريقتنا وماذاك الا كتحريم القراءة الملحونة والصلاة الغير تامة الأركان أفى ذلك تحريم لأصل القراءة وأصل الصلاة لا والله وتارة يقولون هذا الذكر عليه أشياخنا الأولون وأسلافنا السابقون فنقول لهم إذا كانت العبرة بالمتقدم فقد قال الأول الذى ليس قبله شىء فاعلم أنه لا إله إلا الله وحروفها عند القراء

بعلومة ومخارجها وممدودها وحركاتها لديهم مفهومة وقال سيد الأولين أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لاإله إلاالله فلنقلها كما قالها نبينا أفصح العرب الذى أرسله الله الينا ليعلمنا بأقواله وأفعاله وجعل القرب والنجاة فى اتباع سننه والبعد والهلاك فى مفارقة سننه وماذا علينا إذا وافقنا الله والرسول وتركنا ماعليه الاسلاف والاصول فان الشرع حجة عليهم كما هو حجة علينا وليسواهم حجة على الشرع فانه يحتج به لا عليه فاذا عرفت ذلك عرفت أن الاحتجاج بالأسلاف لافائدة فيه ولا اسعاف وإنما هو ذكر لمساويهم وإظهار لمعاصيهم وقد نهى عنه صلى الله عليه وسلم بقوله اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم فهؤلاء قد خالفوا نبيهم من حيث لايشعرون وأحيوا عيوب أسلافهم وهم لايعلمون وقصارى مايعتذر به لأولئك الأسلاف على بعد إن صح أنهم كانوا يفعلون مثل ذلك أنهم كانوا فى حالة قاهرة أخرجتهم عن حد التكليف وغيبتهم عن الاحساس والمقهور معذور والمقتدى به مغرور والمقهور على خير والمقتدى به فى ضير إذ شرط المقتدى به فى هذا الطريق أن يكون برزخا جامعا بين الحق والخلق ماشيا على ظاهر الشريعة المحمدية شاربا من الكؤس الحقيقية ليؤدب أتباعه ظاهراً بشريعته ويكسوهم الحلل الباطنية بحقيقته متمكنا بحيث لاتغيره الأهوال ولا تعدو عليه سطوات الأحوال وبالجملة فالأشياخ الدعاة إلى الله لابد أن يكونوا محفوظين ظاهراً وباطنا إذهم على أقدام الرسل فان الشيخ فى قومه كالرسول فى أمته قال السلطان ابن الفارض

وعالمنا منهم نبى ومن دعا * إلى الله منا قام بالرسلية

وقد ذكر محققو المتقدمين من الاعيان المقتدى بهم فى الدين حرمة التمطيط وعدم الاعتداد بلفظ الجلالة المقصور فى القسم والذكر فياليت شعرى ما الحامل على مخالفة كلام الله وماالباعث على عدم الوقوف عند ما نطق به رسوله ومجتباه وما الداعى لطرح ماحققه الأئمة الهداه وماسبب العكوف على تلك الهيئة المخترعة والبضاعة المزجاة وما الملجىء لذكر مساوى الأسلاف وقد نهى عنه المصطفى صلى

الله عليه وسلم بلا خلاف فارجعوا إخوانى للصواب واستمسكوا بالسنة والكتاب فقبول الموعظة شأن المتقين و بطر الحق دأب المتكبرين أزال الله عنا وعنكم رين القلوب وجمعنا و إياكم على سنة الحبيب المحبوب وتارة يقولون هذا الذكر يفعل بحضرة العلماء ولم ينكروه فنقول لهم عدم نكيرهم اما لعلمهم عدم الافادة فلا إثم أو لتفريطهم فيأثمون على أنا قدشاهدنا انكار من يعتد بانكاره من جهابذة العصر والأوان ومصابيح هذا الدهر والزمان ورأينا كتب المتقدمين مشحونة من ضبط الكلمة المشرفة و باقى أسماء الطريق ومن التحذير من التحريف فيها و بعضهم أفرد الذكر بالتأليف نظما ونثرا وشنع تشنيعا شديداً على من لم يراع قانونه الشرعى وهذا غاية الانكار منهم رحم الله السابقين وحفظ لنا وجود المعاصرين وجزى الجميع عن أمة محمد خيرا وتارة يقولون هذا الذكر قد شاع وذاع وملأ البقاع فنقول لهم الحرام حرام ولو كثر ارتكابه وعم اكتسابه إذهو ما يثاب على تركه ويعاقب على فعله لاماقل فاعله حتى يرد ماذكر وتارة يقولون هذا ماعليه الفقهاء وأهل الشريعة وأمانحن فمن أهل الطريقة والحقيقة وهم لايقفون عند أقوال الفقهاء فنقول نعوذ بالله من هذه المقالة ونعتصم به من هذه الضلالة فان كل من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق ومامن واحد من السادة الصوفية الا تعبد على مذهب امام من مذاهب الأئمة المرضية إذ جميع الصوفية مطبقون على صحة مذاهب الفقهاء وأن القرب إلى الله تعالى والهدى فى اتباعهم وأنهم على هدى من ربهم قال سيدى مصطفى البكرى رضى الله عنه

ونعتقد مذاهب الأئمة فيها الهدى وهم هداة الأمة والحقيقة لاوجود لها بدون الشريعة قال القطب الدردير الشريعة هي الأحكام الشرعية والطريقة هى تتبع الأخلاق المحمدية والحقيقة هى الشرب من الكؤس الأوحدية فأفاد رضى الله عنه أن الحقيقة هى ثمرة الشريعة ونتيجة الطريقة فليس للحقيقة أهل غير أهل الشريعة وقال سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه إياكم والدعاوى التى لايشهد لها كتاب

ولا سنة فانها سبب طردكم عن حضرة ربكم وقال أيضا : طريقنا هـذا مضبوط بالكتاب والسنة فمن أحدث فيه ماليس فى الكتاب والسنة فليس هو منا ولا من اخواننا ونحن بريئون منه فى الدنيا والآخرة ولو انتسب الينا بدعواه اهـ فما دام الشخص ثابت العقل مختارا فهو مخاطب بالشريعة لا تسقط عنه فى حال من الأحوال فان ادعى ذلك فهو زنديق قال الاستاذ البكرى فى ألفية التصوف :

ومن يخالف فعله الشريعه * فذاك فى مهامه القطيعه
إذ كل من خالفها زنديق * وكل من حالفها صديق
وجاهل يفرق ما بينهما * وليس يمكن انفكاك عنهما
شريعة ياذا بلا حقيقه * عاطلة إذ لم تكن وثيقه
حقيقة بدونهـا فباطله . * فافهم منحت مزن فيض هاطله
ومن غدا مسلوب الاختيار * فحكمه تسليمه للبـارى
لا تعترض فى فعله عليـه * إذ عقله خبـأه لديه
وإنما يعترض الباقى على * عقل له وشرع طه قد قلى
يقول ذا حقيقة ذريعه * كى ينبذن جانب الشريعه
فاحذر على دينك من ذى القوم * ولا تجالسهم ولا فى النوم
وقد نما فى ذا الزمان شرهم * حتى سما فى الناس جدا ضرهم
ولم يكن لهم هنا من يردع * من أجل ذا الدين الحنيف ودعوا

وقال رضى الله عنه فى الوصية الجلية ان أهل الطريق يجب عليهم أن لا يخطوا خطوة ينكرها الشرع عليهم فان كل من خالف الشريعة المحمدية تاه وضل عن الطريقة المرضية فالشريعة أصل والحقيقة فرعها فمن لم يحكم الأصل لا ينتفع بالفرع ولهذا كان سيد رؤساء هذه الطريقة سليمان الدارانى قدس الله سره يقول ما حرموا الوصول إلا بتضييعهم الأصول فشريعة بلا حقيقة عاطلة وحقيقة بلا شريعة باطلة انتهى وتارة يقولون المدار فى الذكر على قصد الذاكر فاذا قصد الذات الأقدس

بأى لفظ كان جاز له الذكر به حتى أن بعض هؤلاء أفرط فى ذلك فأتى بمقالة شنيعة تمجها أرباب الأرواح الزكية وتشمئز منها أهل السنة السنية فقال إذا استلقى الشخص على ظهره مكررا لفظ أح بفتح الهمزة أو نبح كالكلب قاصدا به ذات الحق تعالى كان ذلك ذكرا فنقول نعوذ بالله من سوء الأدب ونتحصن به مما يوجب المقت والغضب أما تعلمون أن الذكر فى اصطلاحهم هو تكرار اسم المذكور على اللسان فأنتم ترون الاسم مأخوذا فى مفهوم الذكر فلا يتحقق إلا به والمختار أن الأسماء توقيفية يتوقف اطلاقها عليه تعالى على الكتاب والسنة الصحيحة أو الحسنة ومقابل المختار ما ذهب اليه المعتزلة والقاضى أبو بكر الباقلانى من جواز اطلاق ما كان متصفا بمعناه ولم يوهم نقصا وفصل الغزالى فجوز اطلاق الصفة وهى ما دل على معنى زائد على الذات ومنع اطلاق الاسم وهو ما دل على نفس الذات فتلك المقالة لم توافق مذهبا سنيا ولا معتزليا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ويرحم الله تعالى سيدى عبد الرحمن الأخضرى حيث قال فى منظومته فيهم

و ينبحون النبح كالكلاب * طريقهم ليست على الصواب

وليس فيهم من فتى مطيع * فلعنة الله على الجميع

وجواب هؤلاء أن تناديهم بألفاظ الهذيان والحقارة فان استنكفوا من ذلك فقل لهم أنتم جوزتم ذكر الذات العلية بذلك فهل ذواتكم أعز من ذات الله وأرفع كلا وتارة يقولون هذا انتقاد منكم واعتراض على الفقراء الذاكرين فنقول لهم هؤلاء ليسوا من الذاكرين لما تقدم من أن الذكر هو تكرار اسم المذكور على اللسان وهؤلاء قد كرروا لفظا غيره إذ الكلمة تغاير الأخرى بزيادة حرف أو نقصه أو تغير حركة فقولنا هذا نصح لهم وتصحيح لأعمالهم الفاسدة التى لا وجود لها إلا فى أذهانهم إذ المعدوم شرعا كالمعدوم حسا فهو إخراج لهم من ظلمة الغرور والقطيعة إلى نور الحقيقة والشريعة فنحن أنفع إليهم منكم فانا ندعوهم إلى متابعة الرسول وأنتم تدعونهم إلى ما كان عليه الأسلاف والأصول

فلو تركتموهم لانتفعوا ولو اعتزلتموهم لارتفعوا لكنهم لطف الله بنا وبهم استحكم
على قلوبهم دخان الغفلة فاستعذبوا آلاء الغرور ونبذوا قنديد النصح خلف الظهور .
فيا هؤلاء كيف تسمون محض النصح انتقادا وماخالفه اعتقادا وانقيادا ويرحم
الله المحقق الأمير حيث قال فى رسالته فى أمثالكم والداهية الطامة أنهم إذ نهوا
قالوا لا تعترض وهذا أدهى وأمر حيث يجعلون تعليم السنة المحمدية اعتراضا ينهى
عنه وما خالفها إسلاما وانقيادا وهذا أمر يخشى منه الكفر والردة اهـ كلامه
رضى الله عنه فقد ظهر لك نور الحق الساطع ودخان الأباطيل المانع ولم يبق إلا
العناد وإفساد أعمال العباد ويا ليتنى أدرى ما الحامل على هذا العناد وما الباعث
على هذا التضاد وطريق الحق واضح ونوره على أهله لائح وإصلاح الذكر أمر
يسير والنطق بأسماء الله كما وردت خلق البشير النذير وقد دحضت حجتكم وانقطعت
محجتكم وليس لكم فيما تدعون مندوحة وأعمالكم لدى أهل البصائر منبوذة
مطروحة وماهى إلا كسراب بقيعة يتلألأ للظمآن فيوقعه فى مهامه القطيعة فكونوا
معنا إخوانا فى الله واجتمعوا معنا على سنة رسول الله ختم الله لنا ولكم بالحسنى
والمشى على الطريق الأسنى وقد علم مما تقدم من تحريم تقطيع الأسماء الشريفة
أن من نذر نفس تلك الهيئة المخترعة المشتملة على تقطيع أسمائه تعالى لا يلزمه
الوفاء به بل يحرم عليه لما فيه من التسبب فى المعصية بخلاف ما إذا نذر أصل الذكر
فانه يلزمه الوفاء به لكن لا تبرأ ذمته إلا بالذكر الصحيح الجارى على قانون
الشريعة الغراء أطلع الله شموسها وأدار على أهلها كؤوسها وجذ عنق البدعة وناصريها
ورفع جيد السنة وصاحبيها بجاه من أرسله الله إلينا بتلك الأحكام سيدنا محمد عليه
الصلاة والسلام هذا وبينما أنا أركض جواد الفكر فى هذه المناقشات وأصول
بسيف الشرع فى تلك الضلالات وإذا بالكلمة المشرفة أبدت مقالا وعلى قلب
الملهوف أمطرت زلالا تقول قد أنزلنى الحق جل جلاله إليكم من اللوح المحفوظ
محققة الأركان محكمة البنيان واعتنى الحق بى وعظمنى وبجلنى وأكرمنى حيث

لم يكتف سبحانه بأن أنزلنى مع مطلق ملك من الملائكة الكرام بل مع سيدهم ورئيسهم عليه السلام فنزل بى حافظا لأركانى محكما لبنيانى معتنيا بشانى محققا للحروف والمبانى على نقطة خط الله وصفوته ومنتقاه سيدنا محمد بن عبد الله فتلقانى الحبيب بأحسن القبول مبجلة بين أصحابه الجحاجحة العدول وأتباعهم البررة الكرام ومن تبعهم بالعمل الصالح واستقام إلى أن نزلت بين سوح وخيمة وأقمت بين فئة ذميمة لا يقتدون بالسلف الصالح ولا يزجرهم الدليل الواضح يتبعون ما تستحسنه العقول ويدعون الشرع المنقول فأخلوا بأركانى وقطعوا منى المبانى ومزقونى أى تمزيق وحملونى من الأحرف الزائدة مالا أطيق فيا من لكم فى الأنبياء الوراثة أما لكم فى عزيز أهين من إغاثة أما يجب تعظيم من عظمة الله أما يجب توقير من اعتنى بشأنه مولاه فلما سمعت باذن القلب شكواها وما أبدته من ضرها وبلواها قلت هذه الأبيات :

مررت على الجلالة وهى تبكى * فقلت علام تنتحب الكريمه
لك القدر المعظم من قديم * وبين أولى النهى أبدا مقيمه
وشرفنى بمدلول تسامى * عن الأوهام والسمة الذميمه
وكنتى مجمع الأسرار قدما * وأنت الآن للصهبا مديمه
فقالت دعن أبك ولا تسلنى * فانى بين ألسنة اثيمه
أباحوا قطع أوصالى وجاءوا * بما يزرى بهيئتى النظيمه
ظلمت ولم أجد عونا ومالى * مغيث يردع الفئة الوخيمه
بحق الحق لا تهمل عزيزا * يهان وسرنا للقلب ديمه
يد الاكرام منا قد توالت * عليك فجد بسطوتك الهميمه
وأنصفنا بفرط العزم وانظر * لما وافاك من من جسيمه
كلام الله مضبطنا فخذه * سلاحا للقهقرة الرجيمه
وسيفك سنة المختار فاسطو * ولا تنظر لشرذمة عديمه

فحدق يا أخى عين التحقيق وانج بدينك من هـذا الفريق واعمل بالسنة والكتاب تكن ممن فاز برفع الحجاب وزن كل ماتراه من صور الأعمـال بمعيار الشريعة المحمدية ولا تقف عند بهجته الصورية فكم من صورة أبهى من حقيقة وكم من غابة أزهى من حديقة ولا تسلم قيادك إلا لعارف بخفيات الطريقـة جامع بين الشريعة والحقيقة فاذا رأيت مدعيا هذا المقام باسطا يده لمبايعة الأنام فقدم رجلا وأخر أخرى فقد أخذ الأمر فى القهقرى ورجع الحال إلى ورا وكثر المبطلون وقل المحققون واختفت أنوار الاسرار وانعكس على الكون دخان الاغـترار وقد قالوا الخطأ فى ألف محق بعدم الاتباع أخف من الخطأ فى مبطل واحد بالاتباع فاذا قدر الله عليك باتباعه ثم وجـدته على خلاف النهج القويم والسنن المستقيم فارجع عن اتباعه ودعه فى خبطه وابتداعه فليس الخطأ هو عين الخطأ إنما الخطأ هو الاصرار على الخطأ ولا يهولنك قولهم لاينبغى للمريد أن يعترض على أستاذه ولو فعل ماظاهره أنه الحرام ويؤمر بتأويله حسب الطاقة فان هذا فى حق استاذ استكمل الشروط المعتبرة عندهم وكان مخالفا للسنة مخالفا للبدعة ديدنه الاخلاق المرضية وطبعه وسليقته الاخلاق المحمدية فاذا هفا هفوة فله حال تخلصه ومحمل يخصصه ومع تأويلها منه لايقتدى به فيها قال الشيخ الأكبر

لا تقتدى بالذى زالت شريعته * عنـه ولو جاء بالانبا عن الله

ولو تأمل الأشياخ فى أمر المريد بتأويل الهفوة الواقعة منهم لقوى تمسكهم بما شرطوه فى حقهم وعرفوا أن هذا البساط لايجلس عليه إلا نقى من الرعونات النفسية برىء مما يخالف الطريقة السوية واشتد فزعهم ممن هو أقرب اليهم من حبل الوريد وتقطعت أمعاؤهم من الروع الشديد وأما الآن فقـد عكست القضية واشتدت البلية وصار هذا موجبا لعدم المبالاة بالمخالفات والرتع فى مراتع الضلالات فانظر ياأخى بنور الايمـان واعرف الربح من الخسران وسر لمولاك على تحقيق وزحزح عن نفسك دخان التعويق والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين اللهم اجعلنا

من محبوبيك المقربين ومحبيك الصادقين واجمعنا بأهل وصلك المفلحين ودلنا على كبار أهل حضرتك العارفين واجعلنا بعظيم نفحاتهم فائزين ومن كؤس محبتك على أيديهم شاربين ولجلالك وجمالك فى كل شىء شاهدين وأمتنا على أكمل درجات اليقين يارب العالمين ويا ذا الفضل المبين وصل وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آل وصحبه أجمعين كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن عن ذكره الغافلون تمت هذه النسخة المباركة التى تجل عن المشاركة غاية ذى الحجة الحرام سنة إحدى وتسعين بعد المائتين والألف والحمد لله على التمام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(كلمة بشأن هذه النصيحة ومقرظيها)

ومن تأمل هذه النصيحة بقلب سليم ولب عليم وجدها على صغر حجمها نصيحة أ الدين كله شافية كافية شاملة لسائر أهل الطرق وغيرهم فى أذكارهم وأورادهم ومجاهداتهم وسائر أعمالهم جديرة بقول أبى البركات فى خريدته البهية

لطيفة صغيرة فى الحجم * لكنها كبيرة فى العلم
تكفيك علما إن ترد أن تكتفى * لأنها بزبدة الفن تفى

وللتجانية منها حظ وافر فلعلهم يستمعونها ويتدبرون معانيها وما اشتملت عليه من الحكم والمواعظ الحسنة والمناضلة بالحجة البالغة الهينة اللينة كما قال تعالى فى الدعوة اليه « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » وقال تعالى « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب »

والطاغوت على ما فى الصحاح الكاهن والشيطان وكل رأس فى الضلالة وعبادة غير الله تعالى واتباع غير كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عبادة واتباع للشيطان إذ هو الامر المزين لها « وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب

أن يحضرون » وقد قرظ هذه النصيحة أجلة العلماء منهم الامام الفقيه بهجة الاسلام وقدوة الأعلام خاتمة المحققين مولانا الشيخ محمد عليش مفتى السادة المالكية والامام الكبير شيخ الشيوخ مولانا الشيخ محمد الأشمونى الشافعى والعلامة المحقق والفهامة المدقق شيخ المشايخ مولانا الشيخ ابراهيم السقا الشافعى والعلامة الحبر الفهامة شيخ الاسلام وقدوة الأنام شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد الانبابى الشافعى وكثير من العلماء قد تبرك بتقريظ هذه النصيحة المفيدة على صاحبها وعليهم جميعا سحائب الرحمة والرضوان

(أرباب الأحوال لايصلحون لتربية المريدين السائرين)

والمفهوم من قول صاحب النصيحة وقصارى ما يعتذر به لأولئك الأسلاف على بعد إن صح أنهم كانوا يفعلون مثل ذلك إلى قوله فان الشيخ فى قومه كالرسول فى أمته أن أصحاب الأحوال لايصح أن يكونوا شيوخا لتربية المريدين السائرين إلى الله عز وجل كما لا يسوغ للمريدين أن يسلموا قيادهم و يبذلوا أنفسهم وأرواحهم لذوى الأحوال الذين لم تضبط لهم حالة مخصوصة ولم تحفظ ظواهرهم عن المخالفة للظواهر المنصوصة بل لا يسلمونها الا لامام عارف بالسير وأحواله جامع بين الشريعة والحقيقة كما قال صاحب النصيحة فى مورده الرحمانى

واختر لحفظ الروح ياصديقى * طودا سرى فى مسلك التحقيق
وكن على لقيه مبحاثا * حتى تراه للعلى حثاثا

إلى أن قال :

فان ظفرت ياأخى بواحد * من الكرام الكمل الأماجد
فاعلق به وانظر سنى إمداده * واجزم بأن الرشد فى إرشاده
واعطه حقا عنان الروح * كى ترتوى من منهل السبوح

وفى تأسيس القواعد والاصول للولى الكبير والعلم الشهير سيدى أبى العباس زروق من كمال التقوى وجود الاستقامة وهو حمل النفس على أخلاق القرآن

والسنة كقوله تعالى « خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين » ولا يتم أمرها الا بشيخ ناصح يدل المريد على اللائق به اصلاح حاله إذ رب شخص ضره ما انتفع به غيره ويدل على ذلك اختلاف أحوال الصحابة رضى الله عنهم فى أعمالهم ووصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ومعاملته معهم فانه نهى عبد الله بن عمر عن سرد الصوم وأقر عليه حمزة بن عمر الاسلمى وقال فى ابن عمر نعم الرجل لو كان يقوم من الليل وأوصى أبا هريرة على أن لا ينام الا على وتر وأمر أبا بكر برفع صوته فى صلاته وعمر بالاختفاء وتعبد عليا وفاطمة بصلاتهما من الليل وعائشة تعترض بين يديه اعتراض الجنازة فلم يوقظها وأعلم معاذاً بأن من قال لا إله الا الله دخل الجنة وأمره باخفاء ذلك عن كل الناس وخص حذيفة بالسر وأسر لبعض الصحابه أذكاراً مع ترغيبه فى الغير عموما وهذه كلها تربية منه صلى الله عليه وسلم فى مقام الاستقامة فأخذ العلم والعمل عن المشائخ سنة نبوية وشريعة كتابية بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم واتبع سبيل من أناب إلى وابتغوا اليه الوسيلة فلزمت المشيخة سيما والصحابة أخذوا عنه عليه الصلاة والسلام وقد أخذ عن جبريل واتبع اشارته فى أن يكون نبيا عبدا وأخذ التابعون عن الصحابة وكان لكل أتباع يختصون به كابن سيرين وابن المسيب والأعرج لأبى هريرة وطاوس ووهب ومجاهد لابن عباس إلى غير ذلك وان كانت الافادة تتوقف على الهمة والحال كما أشار لذلك أنس رضى الله عنه بقوله ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه عليه الصلاة والسلام حتى أنكرتنا قلوبنا فأرانا أن رؤية شخصه الكريم كان نافعا لهم فى قلوبهم والعلماء ورثة الأنبياء حالا وقالا وإن لم يدانوا المنزلة وهو الأصل فى طلب القرب إلى الله تعالى إذ من تحقق بحال لم يخل حاضروه منها فلذلك أمروا بصحبة الصالحين ونهوا عن صحبة الفاسقين عن المرء لا تسل وسل عن قرينة والمرء يصلحه القرين الصالح اه وبالجملة فالاشياخ الدعاة إلى الله تعالى يجب أن يكونوا محفوظين ظاهرا عن المخالفة الظاهرية وباطنا عن غلبة الاحوال الباطنية فلا يصدر منهم قول ولا فعل

إلا وهو موافق للكتاب والسنة كالجبال الراسيات فى مقام التمكين والتحقيق
إذ هم على أقدام الرسل الذين هم فوق ذروة هذا المقام ولا يكونون على أقدامهم إلا
إذا حذوا حذوهم ولم يخرجوا عن طريقهم فى شىء من الأشياء يقال فلان على قدم
فلان إذا حذا حذوه ولم يخرج عن سننه كأنه يضع قدمه فى السير موضع قدمه
انظر عمدة الناسكين وفى قوله وهذه كلها تربية منه صلى الله عليه وسلم الخ تأييد
لما قدمناه فى المنهج من أن هذا من باب تنظيم المجاهدات لا من باب تخصيص الامر
والنهى فى التشريع بأشخاص دون آخرين بحيث لا يسوغ لغيرهم أن يفعلوه
وإنما هو توظيف فى العمل المشروع وتربية للعاملين بما تقرر حكمه فى الشريعة
العامة ومرجعه إلى أن العمل الواحد قد تعتريه أحكام تتفاوت بتفاوت استعداد
العاملين وصلاحية كل واحد منهم كالنكاح يجب لشخص ويحرم أو يكره أو
أو يباح أو يندب لآخرين إذ الأعمال الدينية كالأدوية للنفوس البشرية فاذا
أقر الشارع شخصا عمل كاقرار حمزة بن عمر الاسلمى على سرد الصوم المشروع
ونهى عبد الله بن عمر عنه لم يقصد بذلك تخصيص النهى بهذا والامر بذاك
بل كل من كان على استعداد أحدهما كان له ذلك الحكم وإلا لما لزمت المشيخة
فى تربية المريدين ولما كان توظيفه صلى الله عليه وسلم أصلا للشيوخ فى هذه
التربية التى ورثوا نظامها عنه صلى الله عليه وسلم ولذلك لزم فى شيوخ التربية
أن يكونوا على أقدام الرسل ورسم القوم الشيخ المربى بأنه العارف بالسير وأحواله
وهو من يكون عارفا بالخواطر النفسية والشيطانية والملكية والربانية عارفا بالاصل
الذى تنبعث منه هذه الخواطر إلى آخر ما فصلناه فى مبحث تلقين العهود من المنهج
وهذه المعرفة التى يجب أن يكون الشيوخ عليها هى مدار تنظيم الأحكام والأعمال
فى تربية المريدين حسب استعدادهم وصلاحية كل واحد منهم لما يفاض عليه
من مظاهر أسمائه وصفاته جل شأنه وليس فى الامر جزاف بل كل شىء عنده
وشرط الشيخ بمقدار وبالجملة كما قال فى النصيحة أن يكون برزخا جامعا بين الحق

والخلق ماشيا على ظاهر الشريعة المحمدية شاربا من الكؤس الحقيقية ليؤدب أتباعه ظاهرا بشريعته ويكسوهم الحلل الباطنة بحقيقته متمكنا بحيث لا تغيره الأهوال ولا تسطو عليه الاحوال فيعطى كل ذى حق حقه وأساسه نظام الشريعة المحمدية والمعارف الربانية وتقدم عن المنهج أن هؤلاء الشيوخ المدونة نعوتهم فى الكتب قد انقرضوا من عهد بعيد وصاروا أندر من الكبريت الاحمر وإذا عثر على شيخ منهم فلا يعثر على مريده ولم يبق من الوراثة النبوية فى باب الدعوة إلى الله إلا دعوة الارشاد العام التى يتولاها شيوخ الطرق المتمسكون والعلماء والوعاظ المتخلقون وذلك مطلب سام ومنصب عال إذا قام به أهله على الوجه المشروع كان لهم وللأمة الاسلامية من السعادة فى النشأتين مالأهل الارشاد الخاص وزيادة كما يشير إليه قوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » وعلى كل حال فليس لاحد من الامة وليا أو غيره حال حياته صلى الله عليه وسلم أو بعد وفاته بالنسبة للاحكام الشرعية وتنظيم أعمالها إلا التعريف والبيان لما أجمل فى الكتاب والسنة ومع ذلك لابد من عرضه على الميزان وفقنا الله تعالى لاتباع كتابه والعمل بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

(القول فى الذكر بأى لفظ كان)

ومما جاء فى نصيحة الذاكرين ردا على القائلين بجواز الذكر بأى لفظ كان ممزوجا بملخص من شرح عمدة الناسكين وغيره من كتب العلماء المحققين قوله رضى الله عنه وتارة يقولون المدار فى الذكر أى فى وجوده وتحققه وتسميته ذكرا متعبدا به مثابا عليه فى زعمهم على قصد الذاكر لا على خصوص لفظ من الالفاظ ولا اسم من الاسماء فاذا قصد الذاكر الذات الاقدس بأى لفظ كان مصححا أو محرفا ورد عن الشارع أم لم يرد جاز له الذكر به ولو كان موهما أو موضوعا لمعنى لا يليق بذات الحق سبحانه لأن القصد المذكور حوله من معناه إلى معنى آخر وهو الذات الاقدس وشبهتهم فى ذلك الحديث المشهور وهو قوله عليه الصلاة والسلام

إنما الأعمال بالنيات وذلك خطأ بين وغلط فاحش وجرأة على الله ورسوله والحاد فى الدين وتحريف لكلم الكتاب والسنة عن مواضعه لان معنى هذا الحديث كما اتفق عليه المسلمون وأجمع عليه الموحدون أن الاعمال التى لها صورة فى الشرع ولها آداب وشروط مخصوصة إذا استوفت صورتها وشروطها المقررة لهـا شرعا لاتتم إلا بالنية كمالا فيما النية فيه شرط كمال وصحة فيما النية فيه شرط صحـة حسبما ورد به الشرع القويم أما إذا كان العمل فى ذاته ناقصا لجزء من أجزائه المقومة له أو لشرط من شرائطه المصححة لوجوده كالصـلاة الفاقدة ركوعا أوسجودا أوطهارة أواستقبال قبلة أو ستر عورة فاقتران النية به لايحققه ولا يصححه ولا يكمله بل لا يصح اقترانها به لانها إنما تقترن بالعمل المشروع والناقص ليس مشروعا كما علمت وذكر الله تعالى من جملة الاقوال والاعمال الشرعية يستعمل لغة فى معان منها تمجيد الله تعالى وتسبيحه وتهليله والثناء عليه بجميع محامده ثم خصه العرف والاستعمال بتمجيد الله تعالى وتسبيحه باسم من أسمائه الحسنى كما قال تعالى « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها » وقال « سبح اسم ربك الاعلى » وقال « فسبح باسم ربك العظيم »

(القول فى أن أسماء الله تعالى توقيفية)

واعلم أن أسماء الله تعالى تنقسم إلى علم وغيره لانها إما أن تكون مأخوذة من الذات أى منظورا فى وضعها لذاته تعالى بقطع النظر عن النعوت اللازمة لها والاوصاف اللائقة بكمالها كلفظ الجلالة فانه اسم علم موضوع لذاته تعالى من غير اعتبار معنى فيه والحق أن وضع الاسم العلم لا يتوقف على تعقل كنه الذات إذ يجوز أن تعقل ذات مّا بوجه من وجوهها ويوضع الاسم لخصوصيتها ويقصد تفهيمها باعتبارٍ مّا لا بكنهها ويكون ذلك الوجه مصححا للوضع وخارجا عن مفهوم الاسم وإما أن تكون مأخوذة من وصف خارج عن الذات داخل فى مفهوم الاسم سواء كان وصفا حقيقيا كالعليم أو إضافيا كالماجـد بمعنى العالى أو سلبيا كالقدوس واختلف فى لفظ الجلالة بعد اتفاقهم على أنه علم خاص بذاته تعـالى

لا يطلق على غيره أصلا هل هو اسم جامد لا اشتقاق له واليه ذهب الخليل فى أحد قوليه وسيبويه وهو المروى عن أبى حنيفة والشافعى وأبى سلمان الخطابى والغزالى رحمهم الله تعالى وقيل مشتق وأصله الاله حذفت الهمزة لثقلها وأدغم ونفخم وهو من أله بفتح اللام أى عبد وهو المراد بقولهم اذا تعبد وقيل الاله مأخوذ من الوله وهو الحيرة ومرجعها صفة اضافية وهو كونه معبوداً للخلائق ومحاراً للعقول وقيل معنى الاله هو القادر على الخلق فيرجع إلى صفة القدرة والصحيح أن لفظة الله على تقدير كونها فى الاصل صفة قد صارت علما مشعرا بصفات الكمال بالاشتهار انظر شرح المواقف للسيد الشريف واختلف فى الأسماء الوصفية هل هى توقيفية يتوقف إطلاقها عليه تعالى على إذن من الشارع كتابا أو سنة صحيحة أو حسنة فذهب الشيخ الأشعرى ومتابعوه الى أنه لابد من التوقيف وهو المختار وذلك الاحتياط احترازاً عما يوهم باطلا لعظم الخطر فى ذلك فلا يجوز الاكتفاء فى عدم ايهام الباطل بمبلغ ادراكنا بل لابد من الاستناد إلى إذن الشرع وإذنه المعتبر مأخذ لهذا الحكم إنما هو الكتاب والسنة الصحيحة أو الحسنة والذى ورد به التوقيف فى المشهور كما قاله العضد والسيد وغيرهما تسعة وتسعون اسما فقد ورد فى الصحيحين إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وليس فيها تعيين تلك الأسماء لكن الترمذى والبيهقى وغيرهما عينوها كما فى المواقف وإنما قلنا فى المشهور لأنه قد ورد التوقيف بغيرها أما فى القرآن فكالنصير والغالب والقاهر والقريب والاعلى والأكرم وأحسن الخالقين وأرحم الراحمين وذى الطول وذى القوة وذى المعارج وأما فى الحديث فكالحنان والمنان وقد ورد فى رواية ابن ماجه أسماء ليست فى الرواية المشهورة كالقديم والمؤثر والشديد والكافى وغيرها واحصاؤها ضبطها حصرا وتعدادا وعلما وإيمانا وقياما بحقوقها وهذه الأسماء هى التى ورد بها الحديث هى بعينها المشار اليها بقوله تعالى « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » فما ورد من الأسماء فى الأحاديث الضعيفة .

لا يجوز دعاء الحق به ولا يصح ذكره سبحانه إلا بما أذن فيه الشارع إذنا كافيا
فى جواز هذا الاطلاق التوقيفى الذى لايقدم عليه إلا بثبت قوى وخصوصا فى
مقام الذكر والدعاء فانه لابد أن يكون الاسم مما جرت عادة السلف أن يذكروا
الله تعالى به لأن مقام الذكر والدعاء أخص من مقام التسمية والاطلاق كما
نص عليه الفخر الرازى فى سورة الأعراف عند قوله تعالى « ولله الأسماء الحسنى
فادعوه بها » فانه بعد أن ذكر الخلاف فى جواز اطلاق الشيء والذات والحقيقة
على الله تعالى قال والحق فى هذا الباب التفصيل وهو إن عنيت أنه تعالى فى نفسه
ذات وحقيقة وثابت وموجود وشيء فهو كذلك من غير شك ولا شبهة وإن عنيت
أنه هل يجوز أن ينادى بهذه الألفاظ أولا فنقول لا يجوز لأنا رأينا السلف يقولون
يا ألله يارحمن يارحيم إلى سائر الأسماء الشريفة وما رأينا ولا سمعنا أن أحدا يقول
ياذات ياحقيقة يامفهوم يامعلوم فكان الامتناع عن مثل هذه الألفاظ فى معرض
الذكر والدعاء واجبا لله تعالى انتهى بحروفه بل ذكر قبل ذلك الموضع أن بعض
أسماء الله تعالى التى وردت فى حديث إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها
دخل الجنة وامتلأ القرآن بها لا يجوز الذكر به إلا مقرونا باسم آخر مقابل له
ونص عبارته النوع الخامس فى تقسيم أسماء الله تعالى أن يقال من أسماء الله تعالى
ما يمكن ذكره وحده كقولنا يا ألله يارحمن ياحى ياحكيم ومنها مالا يكون كذلك
كقولنا مميت ضار فانه لا يجوز إفراده بالذكر بل يجب أن يقال يامحيي يامميت
ياضار يا نافع انتهى بحروفه فاذا كان هذا فى الأسماء التى وردت فى القرآن والسنة
الصحيحة أو الحسنة التى لا يثبت الاسم الشريف شرعا إلا بها فكيف يقال
يجوز الذكر بأى لفظ كان بهذه العبارة العامة التى تشمل مالم يرد وما ورد ولو
بسنة ضعيفة والله تعالى يقول « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين
يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » والالحاد فى أسمائه سبحانه كما
فى روح المعانى للعلامة الألوسى أن يسمى بما لا توقيف فيه أو بما يوهم معنى فاسدا

كما فى قول أهل البدو ياأبا المكارم ياأبيض الوجه ياسخى ونحو ذلك فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك وبأسمائه ماأطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا أسماؤه تعالى حقيقة إلى أن قال وخلاصة الكلام فى هذا المقام أن علماء الاسلام اتفقوا على جوازإطلاق الأسماء والصفات على البارى تعالى إذا ورد بها الاذن من الشارع وعلى امتناعه إذا ورد المنع عنه واختلفوا حيث لاإذن ولا منع فى جوز إطلاق ما كان سبحانه وتعالى متصفا بمعناه ولم يكن من الأسماء الأعلام الموضوعة فى سائر اللغات إذ ليس جواز إطلاقها عليه تعالى محل نزاع لأحد ولم يكن إطلاقه موهما نقصا بل كان مشعراً بالمدح فمنعه جمهور أهل الحق مطلقا للخطر وجوزه المعتزلة مطلقا ومال إليه القاضى أبو بكرلشيوع إطلاق نحو خداو تكرى فكان إجماعاورد بأن الاجماع كاف فى الاذن الشرعى إذا ثبت واعترضه أيضا إمام الحرمين بأنه قول بالقياس وهو حجة فى العمليات والأسماء والصفات من العلميات وروى بعضهم عنه التوقف وذكر فى شرح المواقف أن القاضى أبا بكر ذهب الى أن كل لفظ دل على معنى ثابت لله تعالى جاز إطلاقه عليه إذا لم يكن موهما لمالا يليق بذاته تعالى ثم قال وقد يقال لابد مع نفى ذلك الايهام من الاشعار بالتعظيم حتى يصح الاطلاق بلا توقف وجعل مذهب المعتزلة غير مذهبه والمشهور ماذكرناه اه والتحقيق أن نفى الايهام معتبر عند المعتزلة وأن الموهم لايجوز إطلاقه باتفاق من المعتزلة والقاضى والحق ماأشار اليه السيد من مغايرة مذهب القاضى لمذهب المعتزلة والكرامية لكن لا بالاطلاق والتقييد المتقدم بل بتقييد مذهب القاضى بقيد آخر وإطلاق مذهب المعتزلة عنه وهو أنه لابد مع نفى ذلك الايهام من الاشعار بالتعظيم حتى يصح الاطلاق بلا توقيف كما نص عليه غير واحد من المحققين وعلى كل حال فالحق التعويل على مذهب الجمهور المختار المشهور وعليه الفتوى إذ هو أعدل المذاهب وأحوطها وأولاها بالصواب لأن الله سبحانه وتعالى

هو الذى سمى نفسه بأسماء لولاه ماتجرأنا على تسميته بها وأنزلها فى كتابه وسنته كما أنزل غيرها من قرآن وسنة وتفضل علينا بطلب ذكرها والدعاء بندائه واستمطار غيث رحماته وأمرنا بتقديسها ونهانا عن الالحاد فيها وجعل لها من حيث انها من أوضاعه وأسمائه الحسنى من الاجلال والتعظيم ما ليس لغيرها من الأسماء الأخرى فكيف يسوغ لنا بعد هذا أن نتطاول بوضع أسماء وإطلاق ألفاظ عليه لم يأذن باطلاقها رب الأسماء والصفات واذا اعتبرنا قياس الغائب على الشاهد وجدنا لهذا المختار حجية أخرى وذلك لان الانسان منا إذا دعا عظيما من العظماء بغير اسمه الموضوع له المنادى به ولو مرة واحدة من عارف بعظمه وحسن أسمائه اشمأزت نفسه من ذلك ورآه تحقيرا لشأنه وخروجا عن ساحة الأدب والكمال سيما إذا كان الداعى دون المدعو فى العظم فما بالك بالحق جل شأنه وبأسمائه الحسنى والحسنى تأنيث الأحسن أفعل تفضيل ومعناه أنه أحسن الأسماء وأجلها لانبائها عن أحسن المعانى وأشرفها فلا نحيد عنها ولاندعوه بغيرها كما قال تعالى « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » فان قلت من الأسماء مايمتنع إطلاقه عليه تعالى مع ورود الشرع به كالماكر والمستهزىء ونحوهما مما ورد به القرآن الكريم وكالطبيب فانه ورد فى أحاديث المصابيح أنه عليه الصلاة والسلام قال لمن قال له إنى طبيب أنت رفيق والله هو الطبيب ومنه ماشاع إطلاقه عليه مع عدم وروده كواجب الوجود قلت أجاب فى شرح المقاصد بأنه لايكفي فى الاذن مطلق الورود فى الكتاب والسنة ولو بحسب اقتضاء المقام وسياق الكلام بل يجب مع ذلك أن لايخلو عن نوع تعظيم ورعاية أدب ولذلك قيل إن إطلاق المتشابه الوارد فى الكتاب والسنة كاليد والوجه لايسوغ إلا على الوجه الذى ورد فيه فلا يجوز أن تقول لله يد أو وجه بناء على هذا الورود بل تقول كما قال الكتاب « يد الله فوق أيديهم » « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » وحاصله أن ورود الاسم لنكات

وأسرار بلاغية أو وجوه بديعية اقتضاها السباق أو السياق مع كون اللفظ في ذاته موهما أوليس مشعرا بالتعظيم لا يصلح مأخذا لهذا الاطلاق الخطير وخصوصا في مواطن الذكر والدعاء وعمل السلف هو الميزان كما تقدم وانظر إلى قوله تعالى « ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » فانه لا يسوغ إطلاق اسم الخالق على أحد من عباده فكذلك قوله تعالى « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » لا يجوز إطلاق اسم الماكر ولا إسناد فعله إلى الله تعالى في غير مورده وأما واجب الوجود وان شاع إطلاقه على الله تعالى مع عدم وروده فليس من محل النزاع لأنه في التحقيق صفة جرت على غير من هي له والمعنى واجب وجوده كما في حسن الوجه وبالجملة فالاسلم في هذا الحكم الخطير اتباع السلف والاقتصار في الذكر والدعاء على الأسماء الحسنى أنظر ما كتبه العلامة الشيخ حسن جلبي على شرح المواقف وكتب على قوله إذ قد ورد التوقيف بغيرها ما نصه فان قلت إذا كانت أسماء الله تعالى زائدة عن التسع والتسعين فما معنى القصر المستفاد من الحديث المنقول من صحيح البخاري ومسلم قلت قوله عليه السلام من أحصاها دخل الجنة في موقع الصفة لقوله تسعة وتسعين اسما على أن أسماء الله تعالى يجوز أن يتفاوت فضلها لتفاوت معانيها في الجلالة والشرف فيكون تسعة وتسعون اسما منها بأعيانها يجمع أنواعا من المعاني المنبئة عن الجلال لا يجمع ذلك غيرها اهـ وقد جاءت معدودة في بعض الروايات ولعله لهذا اقتصر على العدد المذكور لا لحصر أسمائه في التسعة والتسعين كما يدل عليه ما أخرجه البيهقي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابه هم أو حزن فليقل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي في يدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وذهاب همي وجلاء حزني وهو صريح في عدم الحصر لمكان أو وأو وحكى محيي الدين النووي اتفاق

العلماء على ذلك وأن المقصود من الحديث الاخبار بأن هذه التسعة والتسعين من من أحصاها دخل الجنة وهو لا ينافى أن له تعالى أسماء غيرها غير موصوفة بذلك ونقل أبو بكر العربى عن بعضهم أن له سبحانه وتعالى ألف اسم ثم قال وهذا قليل وهو كما قال وعن بعضهم أنها أربعة آلاف وعن بعض الصوفية أنها لا تكاد تحصى قال العلامة الألوسى بعد ذلك والمختار عندى عدم توقف اطلاق الأسماء المشتقة الراجعة إلى نوع من الصفات النفسية والفعلية وكذا الصفات السلبية عليه تعالى على التوقيف الخاص بل يصح الاطلاق بدونه لكن بعد التحرى التام وبذل الوسع فيما هو نص فى التعظيم والتحفظ إلى الغاية عما يوهم أدنى أدنى نقص معاذ الله تعالى فى حقه سبحانه لأنا مأذونون بتعظيم الله تبارك وتعالى بالأقوال والأفعال ولم يحد لنا حد فيه فمتى كان فى الإطلاق تعظيم له عز وجل كان مأذونا به والتكليف منوط بالوسع لا يكلف الله نفسا الا وسعها فبعد بذل الوسع فى التعظيم يرتفع الحرج اه وحاصله أنه اختار قول القاضى أبى بكر بنوع تفصيل ورجحه على قول الجمهور بدليل برهانى فى نظره مع أن لك أن تمنع قوله ولم يحد لنا حد فيه فيمنع ما تفرع عليه على أن قوله لكن بعد التحرى الخ مع كونه احتياطاً أكيداً لا يسد ذريعة الخطر لأن مرجعه إلى العلم الدقيق والفهم النزيه وبذل الجهد للحصول على ما هو نص فى التعظيم واتقاء لما هو موهم لأدنى أدنى نقص كما قال وذلك غير ميسور لكثير من خاصة العلماء فضلا عن عامتهم فضلا عن سائر أهل الطرق الذين توسعوا فى الذكر بأسمائه تعالى فحرفوها وبدلوها وقطعوا أوصالها بل وخرجوا عن حدودها إلى الذكر بأى لفظ كان وبأسماء لا يعرف معناها وإذا عرف لا يكون لائقا بتنزيه الله ولا مشعرا بتعظيمه كما هو مذكور فى سائر الكتب الناصحة لهم ولغيرهم فى هذا الباب

« القول فى الذكر بلفظ آه ونحوه وحديث دعوه يئن »

ومن ذلك الذكر بلفظة آه بالمد والقصر مع سكون الهاء وضمها وكسرها وأصلها

فى اللغة كلمة يقولها الرجل عند الشكاية والتوجع أو التحزن كآوه بفتح الهمزة وتشديد الواو وسكون الهاء وضمها وأوه بسكون الواو وفتح الهاء وكلها من أسماء الأفعال مدلولها إما لفظ أتوجع أو معناه الفعلى أو المصدرى استعملها بعض أهل الطرق فى هـذه العصور فى ذكر الله تعالى واعتبروها أسماء دالة على ذاته تعالى وعدوها من الاسماء التى يتعبد بذكرها والدعاء بهـا وإذا سألتهم عن ذلك يقولون ان هذا الذكر موروث عن أسلافنا وشيوخ طريقتنا ولا بد أن يكون لهم به علم ربانى أو مستند ظاهرى من كتاب أو سنة وقد تحدثت مرة فى هـذا الموضوع مع شيخ من شيوخ الطريقة الشاذلية الذين اشتهروا بذكر لفظ آه ويسمونه اسم المصدر وكنت ولا زلت اعتقد صلاحـه وعلمه وفضله رحمه الله رحمة واسعة فقلت له هل ورد هذا الاسم فى الشرع أو هو موروث للشاذلية عن سيدى أبى الحسن الشاذلى وهل هناك سند يعول عليه فى إسناده إليه فأجاب رحمه الله بأن هذا الاسم وارد فى أحاديث الجامع الصغير فقلت له وهل هـذا الحديث من الأحاديث الصحيحة أو الحسنة حتى يعول عليه فى ثبوت أسمائه تعالى وهل اتفق العلماء على وروده أو اختلفوا فبعـد أخـذ ورد تقـرر أنه ثابت عند السادة الصوفية دون أهل الشرع فقلت له وهل يكتفى بمثل هـذا الثبوت ومذهب الجمهور المختار المشهور أن أسماء الله تعالى توقيفية لاتثبت إلا بكتاب أو سنة صحيحة أو حسنة بل وغير الجمهور من أهل السنة لايرى جواز اطلاق مثل هذا الاسم بلا توقيف لأنه يوهم نقصاً فى حقه تعالى وغـير مشعر بالتعظيم على أن الأجدر بأهل الطريق الذين خصوا عند أهل الظاهر والباطن بالعمل بالأحكام الشرعية على الوجه الأتم الأكمل أن يتعبدوا بما هو متفق عليه دون ماهو مختلف فيه وأسماء الله الحسنى التى وقع الاتفاق على ورودها من أهل الظاهر والباطن كثيرة معروفة للعامة والخاصة فكيف وهم من أهل هذا الاختصاص يسوغ لهم الذكر بهذا الاسم الذى لم يعرف ثبوته فى الشريعة الغراء ويتركون

الاسماء التى وقع الاتفاق عليها من الجميع على ان الذكر بهذا الاسم الذى اشتهر استعماله عند العامة والخاصة فى الشكاية والتوجع قد يثير فى نفوس السامعين له شكوكا وشبها تؤدى إلى الخوض فى حق الذاكرين به وانتهاك حرمتهم وقد حصل ذلك فعلا مرارا وتكرارا وهم كانوا فى غنية عن إيقاظ هذه الفتنة النائمة فلما انتهى بنا الحديث إلى هذا الحد رأيت عليه من الاستحسان والقبول مايدل على اقتناعه ثم قال عند انصرافه ان شاء الله ستجمع الاخوان وننظر فى هذا الموضوع ونفيدكم وكان من عادته رحمه الله إذا نزلت بأهل طريقته نازلة جمع لها كبار أولاده وشاورهم فى الامر وهى عادة حسنة وإن لم يكن هذا محلها وأما حديث الجامع الصغير المروى عن عائشة رضى الله عنها وهو قوله ﷺ دعوه يئن فان الأنين اسم من أسمائه تعالى يستريح اليه العليل فهو من الاحاديث الضعيفة لايثبت به مثل هذا الحكم الاعتقادي الخطير وسببه كما فى الجامع الكبير ماروى أن عائشة رضى الله عنها قالت دخل علينا رسول الله ﷺ وعندنا عليل يئن فقلنا له اسكت فذكره رواه الرافعى عن عائشة وما قيل إن التسمية من باب العمل يصح ثبوتها بالحديث الضعيف والغريب فمردود بأن المقصود من إثبات هذه الاسماء وإجرائها عليه تعالى اعتقاد ثبوتها له وأنه مسمى بها وعند ذلك يصح التعبد بذكرها والدعاء بها ففى الاسم العلم كلفظ الجلالة يقصد من إثباته له تعالى اعتقاد كونه مسمى بهذا الاسم الجامع بالاشتهار لسائر الكمالات وفى غيره كالرحمن الرحيم الملك القدوس يقصد اعتقاد كونه تعالى متصفا بما دلت عليه أسماؤه من الاوصاف الكمالية حقيقية كانت أو إضافية أو سلبية ولا شك أن هذه كلها نسب أصولية يبحث عنها فى علم العقائد ولذلك ترى مبحث الاسماء والصفات مدونا فى كتب الالهيات دون كتب الفقه الباحث عن أعمال المكلفين وكتب العلامة الشيخ الحفنى على قوله من أسماء الله أى من أثر بعض أسماء الله كالضار والقاهر فاذا تجلى تعالى على عبده بهذا الاسم حصل له الضر والا فلفظ

آه لم يرد أنه من أسمائه تعالى وهذا يدل على أن قول المريض آه لا يكره أى حيث لم يكن بتضجر وكذا لا بأس بذكر المرض لنحو طبيب أو صالح يدعو له اه فأنت تراه صرف الحديث عن ظاهره لعدم ورود هـذا الاسم فى كتاب أو سنة صحيحة أو حسنة ولو ورد بذلك لكان معضداً لظاهر هذا الحديث فيكون حسنا لغيره ومع ذلك لو فرض أن هناك ما يعضده وقلنا انه حسن لغيره كما نقله العزيزى وصح أنه يثبت به مثل هذا اللفظ فقد تقدم عن الامام فخر الدين الرازى وغيره أنه ليس كل ماثبتت اسميته يجوز التعبد بذكره والدعاء به ألا ترى أن لفظ الماكر والمستهزىء مما ورد فى الكتاب ومع ذلك لايجوز الذكر به بخلاف اسمه الضار فانه يجوز الذكر به ولكن مع اسمه النافع وقد ينفرد الذكر عن الدعاء لان الذكر تكرار اسم المذكور والدعاء نداؤه تعالى باسمه فلا تقول الضار الضار الضار ذكرا وتقول ياضار انتقم من أعدائنا أو من الظالمين كما قال أبو البركات

وياضار ضد المعتدين بظلمهم * ويانافع انفعنا بأنفاع ديننا

وتقدم أن الميزان فى ذلك عمل السلف وأن مسألة الاطلاق والتسمية شيء ومسألة الذكر والدعاء شيء آخر وفى شرح العزيزى على الجامع الصغير مانصه دعوه أى المريض يئن أى يستريح بالأنين أى بقوله آه ولا تعنفوه فان الأنين اسم من أسمائه تعالى أى لفظ آه من أسمائه تعالى لكن هذا تداوله الصوفية ويذكرون له أسرارا ولم يرد به توقيف من حيث الظاهر « يستريح إليه العليل » فيه رد لقول طاوس إن الأنين مكروه لكونه شكوى اه فأنت تراه أبقى الحديث على ظاهره ثم استدرك عليه بما يوافق بيان العلامة الحفنى فى أن هذا الاسم لم يثبت شرعا على أن قول الحديث فان الأنين اسم من اسمائه تعالى عام لا يختص بلفظ آه فان الأنين كما يكون به يكون بغيره من تصاريف هذه المادة التى تزيد فى اللغة على ثلاثين كلمة فهل كل كلمة منها اسم من أسمائه تعالى أو بعضها وما هذا البعض مع أن جميعها أو جلها يصدر من المريض عند الشكاية ويستريح إليه راجع درجة الحديث ورواته وظاهر

أن الأنين سواء كان بلفظ آه أو غيره ليس مستعملا فى ذكر الله بل هو صادر من المريض للتوجع والتحزن لأن الضر وهو أثر اسمه الضار الذى تجلى به على العبد فأمرضه قد يستتبع صدور هذه الكلمة الدالة على التوجع والتحزن استتباعا طبيعيا فلا ثواب له فى ذكرها وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتركه يئن و إقراره على ذلك وتوجيهه بما ذكر إنما هو لرفع الحرج المتوهم مع ما فيه من الفائدة للمريض من التخفيف كما يشير إليه قوله يستريح إليه العليل و إذا قصد به المريض ذلك فلا يبعد أن يثاب عليه وفضل الله واسع يؤتيه لمن يشاء وفى جوهرة التوحيد

بكل عبد حافظون وكلوا * وكاتبون خيرة لم يهملوا
من أمره شيئا فعل ولو ذهل * حتى الأنين فى المرض كما نقل

أى ولو ذهل حال صدور ذلك الفعل عنه لأنه ليس الغرض من الكتب الاثابة ولا المعاقبة ففى حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» قال يكتب كل ما يتكلم به من خير أو شر حتى أنه ليكتب قوله أكلت شربت ذهبت جئت الحديث والذهول عن الشىء نسيانه والغفلة عنه يكتبون عليه حتى الأنين الصادر عن طبيعته فى المرض كما نقله أئمة الدين وعلماء المسلمين وقالوا به ومن أعظمهم الامام مالك رضى الله عنه ومثله لا يقال من قبل الرأى تمسكوا بقوله تعالى «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» إذ وقوع قول فى سياق النفى يقتضى العموم انظر اتحاف المريد بشرح جوهرة التوحيد للامام الشيخ عبدالسلام بن ابراهيم اللقانى المالكى ناظم هذه الجوهرة الثمينة ومن الغريب أن بعض المحرفين الذى كفانا مؤنة تصحيحه تصحيحة الذاكرين يقول إن لفظ آه ليس اسما أصليا من أسمائه تعالى و إنما هو لفظ مختذل من لفظ الجلالة بحذف لاميه والاقتصار على الهمزة والهاء و يعد الذكر به ذكرا بالكلمة المشرفة والمدار عنده على القصد لا على اللفظ وقد علمت ما فيه ولو أن هؤلاء المحرفين قالوا إن لفظ آه ليس من أسمائه تعالى ولا هو مما يتعبد بذكره والدعاء به و إنما هو نهيت

من أنهات الذكر القلبي وعوارضه فان الذاكر إذا تمكن من قلبه ذكر الله النفسي وألح فيه واستغرق فى معانيه تجشم لديه من الأسرار ما قد يثقل حمله فيصدر عنه أزيز قلبي مظهره هـذا النهبت المكيف بحروف هذه الكلمة وحينئذ تكون هذه الكلمة أى لفظ آه كالأنين أثرا من آثار الذكر القلبي كما هى أثر من آثار الضر الذى تجلى به اسمه الضار كما تقدم لو قالوا ذلك لكان محتملا ولكن ممن يبلغ به الذكر القلبي هذه الرتبة السامية وقد علمت أنه لا يبلغ به كذلك إلا إذا كان معتصما بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليـه وسلم عاملا بأحكامهما على الوجه الأتم الأكمل رزقنا الله الهداية بهديهما ووفقنا لمـا يحبه ويرضاه وفى هذا القدر كفاية والله أعلم والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لمـا سبق والناصر الحق بالحق والهادى إلى الصراط المستقيم تم هذا يوم السبت ٥ ربيع الثانى سنة ١٣٥٤ هـ ، على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى مولاه الرؤف محمد حسنين مخلوف العدوى المالكى

مباحث المنهج القويم

صحيفة

﴿ تمت الفهرست ﴾

